كتاب الشهر 6 2005

الغرفة الأمريكية السوداء
وكالة الاستخبارات المركزية تحت المجهر

محمد جربوعة

المركز العالمي
لدراسات وأبحاث
الكتاب الأخضر

6

الغرفة الأمريكية السوداء
وكالة الاستخبارات المركزية
تحت المجهر

الطبعة الأولى 2005

الإيداع القانوني :
الترقيم الدولي رد . مك ISBN 9959-26-115-8
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

www.greenbookstudies.net
هاتف 9090509 - 9096379 - 9097074
بريد مصور 9097073
البريد الالكتروني nat_lib_libya@hotmail.com

تنفيذ فني :
القبس للأعمال الفنية

الغرفة الأمريكية السوداء 6

وكالة الاستخبارات المركزية تحت المجهر

■ بقلم: محمد جريوعة

مقدمة

الغرفة السوداء هو الاسم الذي يطلق على قاعة هيئة الأسرار لوكالة الأمن القومي، وهي القاعة التي يسميها البعض "إمبراطورية الظلام" ويقول آخرون أنها "مدينة الرموز السرية Cryptocity».

وهي قاعة تحتوي على ترسانة من الحواسيب فائقة القوة، وعلى أجهزة معقدة ورهيبة، ومجموعة كبيرة من المختصين الأفذاذ في الرياضيات، وخبراء اللغات في العالم. ويقاس الوقت ضمن إطار الغرفة السوداء "بالفيمتو ثانية"، وهي جزء من مليون بليون من الثانية، وهناك جهود مكثفة لتطوير حواسيب قادرة على أداء أكثر من (سبتليون)، عملية كل ثانية، والسبتليون هو (1.000000000000000000000000) .

وهذه التقنية الاستخباراتية لم تحصل هكذا دفعة واحدة، بل كانت عبر تراكمية استفادت كثيراً من الممارسة الميدانية، وللإنسان أن يقارن بين هذه الصورة المذهلة لغابة الأسرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وبين النواة التي وضعت كذلك في يونيو /حزيران عام 1930م، في قبو مساحته 25قدماً مربعاً، في المتجه جنوباً، من طريق بالتيمور - واشنطن العريض المزدن بالأشجار، قرب قرية "أنا بوليس جنكشن". في ولاية ميريلاند.

وقد أحيط المقر بكتل إسمنتية، وأسلاك شائكة، وكاميرات وأجهزة هيدروليكية مضادة للشاحنات.

وبين هذه الصورة القديمة التي تعود كما قلنا إلى سنة 1930م، والصورة الجديدة التي أشرنا إليها قبل ذلك وما فيها من إبهار. تكمن مسيرة أحد أجهزة الاستخبارات في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي يهمنا من الأمر هو الصورة المثالية، حتى وإن كانت عند وكالة الأمن القومي، وكان حديثنا نحن عن وكالة الاستخبارات المركزية، ذلك لأن للوكالة أيضاً غرفتها السوداء والتي تعتبر النقطة الأشد حساسية في التركيبة المعقدة لهذا الجهاز.

وحين كتب جيمس بامفورد عن غابة الأسرار في أمريكا ـ وكتب أنطوني جي ميندز أو "ألكسندر كوكبيرن"، عن وكالة الاستخبارات الأمريكية، فإنهم ربما كانوا يقصدون بالدرجة الأولى الإذهال والإدهاش بإبراز جانب الأسطورية والفوضى في متاهات الرمزية والسرية انطلاقاً من الفضول الذي يكتنف عقول الناس إزاء هذه الأجهزة الدهليزية الغامضة ، غير أن الذي دعاني إلى الكتابة حول هذا الموضوع، هو شيء آخر، لذلك فكتابي هذا ليس كتاب معلومات بالدرجة الأولى، بل هو كتاب فكرة لابد من إيصالها عن طريق المعلومة.

إن أمتنا تعيش مرحلة حرجة و خطيرة، ولهذه المرحلة واقعها الذي لا يكاد الكثيرون يستوعبونه لتعقيده وصعوبته وتداخل عناصره..

ويقدر ذلك التعقيد بقدر ما تكون ثغور الأمة قاصرة عن صد أعدائها.

الأمة تتعرض لهزات رهيبة تستهدف تماسكها ، وللأسف فلكون الكثير من أبناء أمتنا لا يؤمنون إلا بما يرونه ويلمسونه بأصابعهم، فإن العدو اختار تبعاً لذلك أن لا يغزونا إلا من خلال "شبحية" لا يظهر فيها دليل مادي.

والتخريب، والإشاعة، والدعاية السوداء ، والرمادية ، والحرب النفسية، وصناعة الرأي، وبث الفتن، والقيام بعمليات سرية قصد زرع الفوضى ، كل ذلك من وسائل الأعداء في حربهم اليوم ضدنا.

ولا شك أن وكالة الاستخبارات المركزية تمثل العدو العملي الأول والأخطر للأمة، وهي ليست في الأخير جهازاً محدوداً في حركته بحدود الولايات المتحدة الأمريكية، بل الأمر يتعدى ذلك، لتكون جهازاً عالمياً رهيباً، يطْبق بأذرعه على أهم مفاصل المناعة عند الشعوب والأمم.

لقد لعبت وكالة الاستخبارات المركزية دوراً خطيراً ضد الاتحاد السوفييتي، كما أنها تلعب اليوم دوراً خطيراً في تفكيك بُنى الأمة، وهزّ أمن واستقرار المجال الجغرافي للكيانات.

إنني أكتب لتظهر الصورة الحقيقية للكائن الأسود المختفي خلف الأكمة، والذي لا يظهر من مشاريعه ضدنا إلا انسجام النتائج التي تصيبنا ، مع أهدافه المرسومة نظرياً..

وليس سهلاً أن يكتب المرء في موضوع كهذا.. لكن الأصعب من ذلك هو أن يبقى الكثير من العرب ، و المسلمين ، و الأفارقة وغيرهم من أبناء الأمم و الشعوب المسحوقة لا يقدّرون الأخطار المتربصة بهم تقديراً صحيحاً ومناسباً.

كما أنه ليس سهلاً أن تقع أمة ، أو شعب ، أو جماعة ، أو فرد في براثن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية..

لذلك قد يبعث التعريف بالعدو على إدراك حجم خطره الفعلي..

ومنذ سنوات خرج بعضهم بنظرية تُسَمَّى "استبعاد المؤامرة" ، وهي نظرية تقوم على إيصال فكرة رهيبة إلى المسحوقين ، وهي أن ما يصيبهم ليس دائماً من وراء مؤامرة نسجتها قوى خارجية، وقد استفحلت هذه النظرية التي هي في حد ذاتها مؤامرة، استفحلت في الرؤوس والنفوس، حتى وصلت قناعة البعض إلى أن كل الهيئات والوكالات والأجهزة الخارجية لا دخل لها ولا اهتمام لها بأمور المسلمين.. وصار اللوم و الاتهام بيننا داخلياً، فكل عمل أو فتنة أو هزة تحدث يستبعد فيها الآخر، ويقال أنها صناعة محلية..

رغم أن المسحوقين أعجز في الواقع ـ للأسف ـ عن صناعة هزات منظمة تصل دقتها إلى رُبع دقة المؤامرات والمخططات والفتن والهزات التي ما فتئت تهز الأمة طوال عقود ماضية.

إن الاستهانة بالهّين في الخصومة منبوذة، والذبابة تدمي مقلة الأسد، فكيف إذا كانت الاستهانة بأجهزة تعمل وفق معطيات

أسطورية ، ومن ذلك أنها لا تحسب الوقت بالثواني، بل بجزيئات دقيقة لم يسمع بها الكثيرون، كما سنبين في هذا الكتاب؟!!.

ولا بأس بعد كل هذا أن أقول أن فهم العدو هو جزء من الانتصار عليه.. أما مقاتلة طواحين الهواء، فمآلها هو المآل ذاته لحرب "دونكيشوت دولمنسر"..

هذه هي غابة الرموز والأسرار... "الغرفة السوداء"... جحر التآمر والتخريب وزرع الدمار والفتن... هذه هي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي. إيه) أو لنقل: هذه تحت المجهر قطرة من بحر عنها - وما خفي كان أعظم - واللبيب من أرشده الجزء لمعرفة الكل..

و"هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"؟

محمد جربوعة

المخابرات مطلب
الحرب الجديدة...

دخل مصطلح "الحرب" بأحداث أيلول/سبتمبر 2001 منعطفاً جديداً ، إذ كان هم الولايات المتحدة الأمريكية قبل ذلك التاريخ إقامة الدرع الصاروخي المضاد للصواريخ البالستية على اعتبار أن هناك دولاً مارقة تمثل محور الشر وتهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة الأمريكية، ومن تلك الدول كوريا الشمالية، ليبيا ، إيران وغيرها ،

وفي رأيي فإن العملية برمتها كانت مصنوعة لإنجاز مشروع استعراضي هو أقرب إلى الترف منه إلى متطلبات الواقع.

إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية وجدت نفسها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فيما يشبه "البطالة" وهو الأمر الذي دعاها إلى صنع أعداء جدد وهميين، ثم إيجاد مشروع لمواجهة هؤلاء الأعداء.. وكان الأمر أقرب إلى العبث منه إلى الجد والواقعية، إذ أنه لا ليبيا ، ولا إيران ، ولا كوريا كانت تمثل فعلاً خطراً يصل إلى حد رجم الولايات المتحدة بصواريخ بالستية تستدعي من واشنطن إقامة مظلتها التي تبلغ كلفتها (64) مليار دولار، فكان الأمر نوعاً من الرفاه الذي تجسد قبل ذلك في ولاية

رونالد ريغن، في مشروعه (حرب النجوم). وظهر العدو الجديد فجأة، وظهر معه ضعف القراءة الأمريكية للواقع ولحقيقة الأخطار المحدقة، والعدو هذه المرة قريب من الشبحية، إذ أنه ليس دولة أو كياناً له وجود مادي، لذلك كان من الصعب مواجهته، وبدأ أن الولايات المتحدة الأمريكية تسير في طريق التخلي عن مشروع مظلتها الصاروخية، إذ ماذا تنفع هذه المظلة والعدو قد يكون شخصاً يعبر شارعاً، ثم يمد يده إلى جيبه وهو بمحاذاة مصلحة أو مؤسسة أمريكية فيفجر نفسه بمجرد مماسة سلك كهربائي بأخيه؟!!

وتكرس هذا المعنى الجديد للعدو في حرب العصابات في أفغانستان وفي العراق واتضح للولايات المتحدة الأمريكية وللعالم كله أن هناك معطىً جديداً في العالم يتمثل في الفرق بين إسقاط نظام واحتلال بلد، وفي استطاعة البنتاغون أن يسقط نظام بلد ما، لكنْ ليس في استطاعة أمريكا أن تحكم ذلك البلد، أو تعيش فيه آمنة، وعدو أمريكا هنا ليس جيشاً نظامياً، بل جماعات تضرب وتختفي، وهو ما يجعل القدرات العسكرية الأمريكية عاجزة عن فعل شيء، تماماً كما تعجز الترسانة النووية الإسرائيلية أمام حجارة المنتفضين أو عمليات التفجير التي تقع في قلب "تل أبيب". واقع جديد استدعى نظرة جديدة..

وفي هذا الواقع تأخذ الحرب شكلاً آخر، ومعنى جديداً، وبالتالي فهي تستدعي مواجهة غير تقليدية.. هنا وفي هذه المنطقة بالضبط تحولت الحرب من عمل يتم التركيز فيه على

البنتاغون، إلى عمل تقوم به الاستخبارات. فقد صارت المواجهة معلوماتية بالدرجة الأولى. لذلك يقول الأمريكيون أن الحروب القادمة ستكون حروب المخابرات، وفي هذا الإطار تجري التعديلات التي يتطلبها الواقع الجديد، ومن ذلك مطالبة نواب أمريكيين لأجهزة الاستخبارات حسبما ذكرت وكالة رويترز منذ مدة، بتغيير صورة جواسيسها إذا أرادت إحراز تقدم في مواجهة أعداء ومستهدفي الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد قالت عضو مجلس النواب وكبيرة الأعضاء الديمقراطيين بلجنة الاستخبارات في المجلس (جين هيرمان):

" لم يعد في مقدورنا توقع أن يستطيع مجتمع الاستخبارات الذي يتألف معظمه من الرجال، ومعظمهم من البيض، رصد واختراق تنظيمات يشتبه بها، أو جماعات إرهابية"

وأكدت(هيرمان) حاجة أمريكا إلى جواسيس يشبهون أهدافهم وضباطاً بوكالة الاستخبارات المركزية يتحدثون اللهجات التي يستخدمها من أسمتهم بالإرهابيين ، وعميلات بمكتب التحقيق الاتحادي يستطعن التحدث مع النساء المسلمات اللاتي قد يتعرضن للترويع من جانب الرجال.

من جهته أقر رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب (بروتر جوس) أن أجهزة الاستخبارات الأميركية تعاني من عدم كفاية عدد من ذوي المهارات اللغوية للقيام بكافة المهام والوظائف ذات الأولوية القصوى لدى الاستخبارات الأميركية.

وقالت أجهزة الاستخبارات أنها تبذل جهداً لتجنيد أميركيين

من أصول صينية وكورية وعربية وإفريقية وإسبانية وهنود حمر.
وقال مدير جماعة الاستراتيجيات التحليلية (جان كارسز) أن أجهزة الاستخبارات تركز على لغات مثل العربية ، والصينية، واليابانية ، والكزخية ، والكورية، والملايو ، والبشتو ، والفارسية ، والدارية ، والبنجابية ، والروسية ، والصربية ، والكرواتية ، والأردية ، والفيتنامية.

وتمنح أجهزة الاستخبارات مكافآت للعاملين الذين يسعون لتعلم لغات ,كما تعطي وكالة الاستخبارات المركزية مكافآت قد تصل إلى 35 ألف دولار في المرة الواحدة. وأوضح نائب مدير وكالة الأمن القومي (وليام بلاك) أن الأمر قد يستغرق 18 شهراً بالنسبة لمن يتحدث اللغة بصورة أصلية تقريباً كي يفهم الهدف.

وأضاف أن وكالة الأمن القومي تستخدم وسائل الاتصال الإلكترونية في التنصت في مختلف أنحاء العالم ويحللها خبراء لغويون لترجمتها وفهمها. وقال (بلاك) "يجب ألاّ نفهم الكلمات فقط بل أيضاً النوايا وراء الكلمات" ,مشيراً إلى أن وكالة الأمن القومي استعانت بحوالي 1200 موظف جديد لمدة عام انتهى يوم 30 سبتمبر/ أيلول 2003 نصف هؤلاء خبراء في اللغات

إن هذا المعنى الجديد للحرب يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تُحرَم رصيدها العسكري والتكنولوجي الذي راكمته طوال عقود، كما يجعلها على خط الانطلاق ذاته الذي ينطلق منه مستهدفوها.

وهذا كله يعطي الحرب معنى الرجوع إلى الأصل الذي هو "الإنسان".

إذ أن التقدم التكنولوجي الرهيب وصل إلى حد إخراج الإنسان من الحرب، أو تقليص وجوده في مشهد حرب الأزرار والصواريخ العابرة للقارات، والطائرة التي لا طيار فيها، والرجال الآليين الذين قد يديرون معركة فظيعة من قاعة مكيفة وسرية، لاشيء فيها غير الجواسيس والأزرار.

اليوم يعود البشري، الإنسان إلى مسرح الأحداث، ليكون المادة الأساسية للحرب.

ولأن مسألة المعلومات أمر ليس حكراً على الولايات المتحدة الأمريكية، بل قد يفوقها فيه غيرها من أعدائها، فإن أمريكا التكنولوجيا في الحرب القديمة ليست هي أمريكا في الحرب الجديدة.

العلبة الأمريكية السوداء..

تتكون مجموعة المخابرات الأمريكية من 13وكالة وهيئة حكومية تعمل في مجال أنشطة المخابرات المتنوعة، ويرأس تلك المجموعة، رئيس المخابرات المركزية، ويعاونه هيئة إدارة مجتمع المخابرات ومجلس وكالة المخابرات المركزية، ووكالة المخابرات القومية، وتتكون المجموعة من الوكالات والهيئات التالية:

1. وكالة التصوير والخرائط القومية.
2. مكتب الاستطلاع القومي.
3. مخابرات الدفاع.
4. وكالة الأمن القومي.
5. مخابرات الجيش.
6. مكتب مخابرات البحرية.
7. مخابرات فيلق المارينز.
8. مخابرات وزارة الخارجية.
9. مخابرات القوات الجوية.
10. مخابرات وزارة الطاقة.
11. مخابرات وزارة الخزانة.
12. مكتب التحقيقات الفيدرالي.
13. وكالة الاستخبارات المركزية.

وتدور مهام المجموعة الاستخباراتية الأميركية حول واجب حماية أمن البلد، وتزويد رئيس الدولة وكبار المسؤولين في

الحكومة والقوات المسلحة والجهات المعنية الأخرى بالمعلومات[1] .

وينقسم كل جهاز استخباراتي في المجموع إلى قسمين:

- قسم ميداني، متحرك، يقوم بالملاحقة، والمراقبة وجمع الأدلة.

أما القسم الثاني فهو المتخصص في قراءة الوثائق والمعلومات وتحليلها، والتدقيق فيها.

وبالنظر إلى هذا الكم الهائل من الأجهزة الاستخباراتية في الولايات المتحدة، وما يتوفر لها من الوسائل التكنولوجية الدقيقة، والدعم المالي الكبير والتعاون الاستخباراتي العالمي الذي يجعل من الكثير من مخابرات دول أخرى مجرد أجنحة تابعة للمجموعة الأمريكية، فإن التقدير المبني على هذه المعطيات يدل على أنه ليس بالإمكان اختراق أو تضليل هذه الأجهزة، وهو ما يجعل منها بعبعاً له رهبته التي تصل إلى حد نسج الأساطير عنه.

---

(1) اللواء المتقاعد د. محمود خلف مقال بعنوان: أجهزة المخابرات الأمريكية. الهيكلية التنظيمية والمهام الرئيسية.

وكالة الاستخبارات الأمريكية

تعتبر وكالة المخابرات الأمريكية أحد أهم الأجهزة الرئيسية للتجسس ومقاومة التجسس في الولايات المتحدة. فقد أنشئت إبان الحرب العالمية الثانية بأمر من الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" لتحل محل "مكتب الخدمات الاستراتيجية" الذي كان أسسه الرئيس "فرانكلين روزفلت" وذلك تحت ضغط الاستخبارات العسكرية ومكتب المباحث الفدرالي.

ومهمة المخابرات الأمريكية تتلخص في الحصول على المعلومات الخارجية بصفة خاصة وتجميعها وتقسيمها، وكذلك تدبير العمليات السرية التي ترى أنها تحقق أهدافها السياسية، سواء أكانت عسكرية أو مؤامرات سياسية.

رؤساء السي آي إي

يعتبر الن دالاس من أهم مؤسسي الجاسوسية الأمريكية حيث أوكل إليه إنشاء جهاز المخابرات المركزية، إلا أنه، ونتيجة لبعض الأخطاء أبعده الرئيس ترومان وأحل محله الجنرال "فالتر سميث" ومع مجيء "ايزنهاور" رئيساً للولايات المتحدة عاد "الن دالاس" رئيساً للوكالة ودعمه في موقعه وجود أخيه "جون فوستر دالاس" وزيراً للخارجية. وإثر الأزمة العاصفة التي نشبت بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة حول نية الأخيرة غزو كوبا، وفشل هذه العملية التي عرفت بأزمة خليج الخنازير عام 1961، واهتزاز

صورة الولايات المتحدة في العالم الثالث نتيجة لذلك، نحى "جون كينيدي" "الن دالاس" عن رئاسة الوكالة، وعين الجنرال "جون ماكون" في عام 1963، تلاه الأميرال "وليم رابون" حتى حزيران 1966، ومن ثم "ريتشارد ماكجاراه هيلمز" وبعده جيمس شلينغر" ثم "وليم كوبي" في أواخر عهد نيكسون.

الموقع

يقع مركز الاستخبارات المركزية في ضاحية "لانغلي" ويبعد 15كلم عن واشنطن العاصمة وهو مركز محصن تحصيناً طبيعياً بوجود نهر "بوتوماك"، فضلاً عن الحراسة المشددة عليه والكاميرات التلفزيونية المسلطة على المنطقة المحيطة ليلاً ونهاراً. وتبلغ مساحة هذا المركز حوالي 125 ألف متر مربع، بينما بلغت تكاليف الإنشاء عام 1966، 46 مليون دولار، ويحيط بالمبنى سوار يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار تعلوه أسلاك شائكة، وتحتفظ الوكالة ببعض الأبنية لاستعمالها تحت أسماء مستعارة.

الميزانية

توازي ميزانية المخابرات المركزية السنوية ميزانية عدة دول نامية. كما يقدر عدد العاملين فيها بحوالي 250 ألف موظف وجاسوس يقدمون خلاصة أعمالهم بتقرير صباح كل يوم، يطّلع عليه الرئيس الأمريكي.

أسلوب العمل

تستخدم الوكالة مختلف وسائل التجسس الحديثة، كطائرات التجسس من طراز طائرة« U.2 » التي استخدمت فوق الأراضي

السوفييتية من أجل التصوير والتقاط الرادار، ونذكر الطائرة التي أسقطت عام 1960، فوق الأراضي السوفييتية والتي أفشلت الاجتماع الذي كان مقرراً في باريس بين الرئيس "ايزنهاور وخروتشوف ومكملان وديجول". وبمساعدة الطائرات U.2 استطاعت الولايات المتحدة معرفة أماكن الصواريخ الروسية في كوبا عام 1962، كما استخدمت المخابرات المركزية كذلك السفن البحرية مثل "بيوبلو" التي قبض عليها في كوريا عام 1968 م.

إضافة إلى ذلك كان استخدام العملاء المباشرين سواء كانوا دبلوماسيين أو غير دبلوماسيين وذلك بغية الحصول على المعلومات كحصولهم على نسخة من التقرير الذي تقدم به خروتشوف إلى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، والذي ندد فيه بجرائم ستالين، وكذلك البولندي جوزيف سوتيلو الذي كان يحتل موقعاً متقدماً في بلده، وغيرهما من الذين ما زالوا يعيشون بحماية المخابرات المركزية نظراً للخدمات الكبيرة التي قدموها لهذه المؤسسة.

العمليات الخارجية

ينسب إلى وكالة المخابرات المركزية سلسلة طويلة من العمليات السياسية ، والعسكرية في العديد من دول العالم، وخاصة في أمريكا الوسطى والجنوبية وغرب إفريقيا والشرق الأوسط والأدنى، حيث جرى العديد من الانقلابات العسكرية والتصفيات الفردية والجماعية.

كما تلعب الوكالة دوراً كبيراً في التنظيمات النقابية والثقافية المختلفة عن طريق التدخل في نشاطاتها. فقد تولت حركة الطلاب في الولايات المتحدة وتدخلت في حركة الجامعة في ولاية ميشغن وفي البرامج الجامعية للجامعات الأمريكية وفي النقابات، إضافة إلى تمويلها للعديد من دور النشر لنشر الكتب المؤيدة لسياسات الولايات المتحدة، وكذلك باستخدام شخصيات ذات اطلاع وكفاءة عالية لتسويق أفكارها ومعتقداتها خدمة للسياسة الأمريكية.[2]

في الستينيات كان يطلق على التشكيلات الكبيرة لإدارة المخابرات المركزية اسم (فروع)، أما الخلايا الوظيفية والإقليمية فيطلق عليها اسم (مراكز، إدارات، أركان، أقسام) أما حالياً فقد تغير القاموس فيما يخص هذه الاصطلاحات، وأصبحت الأسماء كالآتي:

فرع المعلومات الاستخباراتية، فرع العمليات الاستخباراتية، الفرع الإداري الاستخباراتي، الفرع التقني العلمي الاستخباراتي.

يقوم الفرع الاداري (وسمي سابقاً فرع الدعم) عدا عن وظائفه الروتينية في إدارة أعمال المخابرات المركزية بتأمين العمليات التخريبية والتجسسية السرية.

---

2 المصدر: الموسوعة السياسية، ج 6، ص 125وما بعدها.

ويملك ممثلين في كافة المقرات. ومن مهامه الكبرى تأمين شبكة من العملاء بالأموال والسلاح وتقنيات التجسس وغيرها، وليست مسألة تنظيم الاتصالات بين لنغلي والمقرات بأقل أهمية من المهمة السابقة. وتقع على عاتق الفرع الاداري ايضاً مهمة تأمين اتصال مستقل بين مقر الرئاسة والعديد من سفارات الولايات الأمريكية.
يقوم أوثق العلاقات مع مصانع التجمع الصناعي الحربي، التي تنفذ طلبات المخابرات المركزية في تطوير الوسائل الموجودة واختراع انواع جديدة منها. يجمع فرع العلوم والتقنية المعلومات العلمية والتقنية المكشوفية أو التجسسية ويحللها.

كتب المدير الاسبق للمخابرات المركزية كولبي: "لا يمكن تجاهل أهمية الاكتشافات العلمية التي تؤدي إلى نتائج كبيرة. ولكن اسارع لأقول ان الوسائل الفنية لا يمكن ان تلغي دور المخبر، ولا تجعل وظيفته مريحة كما يدعي البعض".(11)

يناقشون في الولايات المتحدة الأمريكية العلاقات بين تجسس المخبرين أو التجسس البشري وبين التجسس المنفذ بمساعدة مختلف الوسائل الفنية أو التجسس الفني. يظهر لأول وهلة ان هذا الموضوع غير هام لهذه الدرجة. ومع هذا فان القادة الحاليين والسابقين قي للمخابرات والمشرعين والعلماء لا زالوا يناقشون الافضلية بين جميع وسائل التجسس وعلى أي نوع منها يجب هدر الاموال، وأي منها يؤمن معلومات أغنى وأثمن من غيرها، وما هي طبقة الشخصيات المستهدفة في الخارج؟، والتي يجب ان تدرس بعناية من قبل المخبرين الامريكيين، كما أن المراكز

الدفاعية تبتكر توصيات من نوع خاص للحكومة والكونغرس والاوساط السياسية الفعالية. وتلتقي كل هذه التوصيات أو معظمها في ضرورة تطوير التجسس الفني في الولايات المتحدة الأمريكية الى جانب تطوير التجسس البشري في وقت واحد ودون أي تواضع كاذب.

يُعَدُّ فرع المعلومات وفرع العمليات الاستخبارية من أكبر الفروع التي يديرها نواب مدير المخابرات المركزية. نتوقف بالتفصيل على بعض الآفاق التي تكونت في ممارسات كلا الفرعين.

تشكل فرع المعلومات التجسسية في وضعه الحالي فقط في بداية الستينيات، مستقطباً نخبة خاصة من موظفي الادارات والدوائر والأقسام التي تعمل في معالجة المعلومات وتحليلها وتحضير التقدير الاستخباري الوطني والأعمال المكتبية والرشفة. يعالج آلاف المحللين في الفرع المعلومات الخام الواردة بشكل مكشوف من المصادر المشروعة (صحف، مجلات، إذاعة، مقابلات مع المواطنين الأمريكيين القادمين من الخارج ومع الأجانب القادمين إلى الولايات المتحدة وغيرها) وعن طريق مصادر التجسس والأعضاء الآخرين لتجمع الاستخبار الذين يحصلون على المعلومات بالوسائل الفنية. يعطي فرع المعلومات الجاهزة ـ الإنتاج الجاهز ـ والتقارير ، والوثائق ، والتقديرات الاستخبارية لصالح السلطة العليا. توزع المعلومات السياسية، الاقتصادية، العسكرية، العلمية والتقنية، الجغرافية وما يتعلق بسيرة بعض الشخصيات في نظام وثائقي مؤرشف، أوضح

الأدميرال إينمان النائب الأول لمدير المخابرات المركزية لأعضاء مجلس الشيوخ معبراً عن تصوره للتعقيد في هذا التجمع فقال: "هذه الأنظمة التي تحفظ بها مئات الملايين من الصفحات منفصلة بعضها عن بعض حسب مميزات عملية ووظيفية. يملك بعض هذه الأنظمة منظومات فرعية ويتطلب البحث عن معلومة صغيرة تقليب صفحات حوالي 20 نظاماً وثائقياً مؤرشفاً، اما المعلومات الكبيرة ـ فأكثر من مائة نظام"(12)

تعد مديرية المعلومات الاستخبارية الآنية أحد أهم تشكيلات فرع المعلومات. فهي تلعب دوراً هاماً في اعداد نشرة إخبارية يومية للرئيس الأمريكي، وتقرير إخباري يومي للشخصيات الحكومية والقيادية. صدر هذا التقرير في البداية على شكل صحيفة صغيرة "ناشيونال انتيليجانس ديلي" كانت ترسل كل صباح إلى 60 ـ 200 مشترك. يقوم فرع العمليات الاستخبارية (وسمي سابقاً فرع التخطيط) بالعمليات التخريبية السرية التي ليس لها علاقة مباشرة بالحصول على معلومات مسبقة كالعمليات التخريبية السرية التي ليس لها علاقة مباشرة بالحصول على معلومات مسبقة كالعمليات السرية "كوفيرت أشن" ويقوم الفرع كذلك بملاحقة الجاسوسية الخارجية. يتألف فرع العمليات، حسب ما ذكره ماركيتي المساعد الخاص لمدير المخابرات المركزية، من ست مديرات إقليمية (الأوسط وافريقيا) وأربع مديرات وظيفية (العمليات التجسسية) ملاحقة المخبرين الأجانب، (العمليات الخاصة والعمليات التخريبية).(13)

كما تقسم المديريات البورجوازية إلى دوائر تختص كل منها بدولة واحدة فقط. تطلق الصحافة الأمريكية البورجوازية اسم "الألاعيب القذرة" على نشاطات فرع العمليات وخاصة نشاط أولئك الموظفين الذين يعملون على تخطيط العمليات السرية" وتنفيذها، كالقتل السياسي ، والانقلابات ، والارهاب ، والدعاية السوداء ، وغيرها. وقد أثارت الاخفاقات المتوالية للعمليات السرية النقاش حول جدوى عمليات التخريب السرية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

أبدى سكوفيل، النائب الأسبق لمدير المخابرات المركزية ومدير فرع المعلومات الاستخبارية شكوكه حول الفائدة الحقيقية من العمليات التخريبية التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية. ومن ناحية أخرى فإن هذه العمليات حسب رأيه تسيء لسمعة الحكومة الأمريكية ولا تمثل وسيلة لتنفيذ الولايات المتحدة لسياستها الخارجية. ويضيف سكوفيل: "اقترح ان تقلع بلادنا وإلى الابد عن تنفيذ العمليات التخريبية كافة". (14)

وخلافاً لهذا الاعتقاد ، فإن كلاين الذي شغل منصباً في إدارة المخابرات المركزية كمنصب سكوفيل والمستشار غير الرسمي للبيت الأبيض في شؤون المخابرات في مطلع الثمانينيات وكبير مستشاري مركز الادارات الدولية والاستراتيجية التابع لجامعة جورج تاون في واشنطن، ورغم انه يعترف بأن "العمليات السرية الامريكية، وخاصة العسكرية منها منافية للقانون من وجهة نظر الشعب الذي يعاني منها" ومع ذلك فهو يرى انه من المجدي التدخل

السياسي السري في شؤون الدول الأخرى". (15) فذلك في نظره حالة وسطى بين الدبلوماسية وإنزال قوات مشاة البحرية. هو اسلوب أفضل من الحرب، ومن العمليات التخريبية السرية التي أثارت ضجة اعلامية كبيرة العمليات شبه العسكرية (Paramilitary) الموجهة بالدرجة الأولى ضد حركات التحرر الوطنية.

أصدرت دار "ماجروهيل بوك كومباني" في عام 1981 كتاباً لنائب رئيس فرع العمليات الاستخبارية في إدارة المخابرات المركزية شيكلي باسم "الطريق الثالث ـ الموقف الأمريكي مباحثياً وديبلوماسياً وعسكرياً، ناقش معهم طيلة عام كامل المهام الموجهة ضد الثورات، أي حركات التحرر الوطنية، وطرق تنفيذ هذه المهام. اما "الطريق الثالث" فهو اصطلاح يستخدم في التجمع الاستخباري للدلالة على العمليات السرية شبه العسكرية، في حين ان الطريق الأول هو تنفيذ السياسة الخارجية بالوسائل الدبلوماسية، والطريق الثاني هو الحرب التي يعدها الأمريكيون غير مقبولة. يؤكد شيكلي ان هدف الطريق الثالث هو "اخضاع الشعوب للسيطرة الأمريكية ووسم جميع الحوادث بطابع مناسب للولايات المتحدة الأمريكية دون الشكل عن منظمي هذه العمليات"(16) .

يعكس الخلاف في الموقف الملموس من خلال أعمال سكوفيل وكيلاين وشيكلي حول استخدام إمكانيات المخابرات المركزية، النزاع الداخلي بين مجموعات المخابرات المركزية المتنافسة. بتمثيل أحد أسباب انتشار عدم التطابق في وجهات النظر خارج

لينغلي في السعي للحصول على تأييد الأوساط الاحتكارية وتحقيق أفضلية لهذا النشاط الاستخباري أو ذاك. غير ان الأمور الداخلية للمخابرات المركزية لا تتوضح فقط من خلال الخلافات الدورية بين مختلف منظماتها حول السلطة والكوادر والوسائل المادية، بل من خلال الحملة الهادفة إلى إزالة الفوارق بين النشاط المشروع في جمع وتحليل المعلومات الاستخبارية وبين العمليات التخريبية المخالفة للقانون. وهذا بالذات ما فعله المدير الأسبق للمخابرات المركزية الأدميرال المتقاعد س. تيريز.

بعد حصوله على الاستقالة، اتخذ تيريز موقفاً وسطاً بين سكوفيل وكلاين بالنسبة للعمليات التخريبية السرية، فهو يؤيد بعض اشكال العمليات السرية ويعارض بعضها الآخر. كتب تيريز: "يمكن ان تكون العمليات السرية بطبيعتها مثاراً للجدل، ويكون تصرفنا صحيحاً إذا لجأنا إلى هذه العملية عندما نكون واثقين تماماً ان هذه العملية ستنال الموافقة الشعبية وستكون ثروة للمجتمع. لكن أي العمليات السرية يمكن ان ينال الموافقة العامة.؟ أولاً الدعاية السرية، وانا أعتقد انه كان من الممكن الحصول على الموافقة على محاولات إزاحة الخميني في إيران ، أو القذافي في ليبيا". (17)

وهكذا يصادق المدير الأسبق للمخابرات المركزية على التدخل دون تكلف في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ويناقش علناً قضية اسقاط الحكومات وفي نفس الوقت يسعى للحصول على الموافقة العامة على عمليات القتل ، والاعتداء.

يتحفظ تيريز حيال العمليات التخريبية السرية، التي يمكن أن تجلب النصر المزيف وتستهلك التكاليف الباهظة للولايات المتحدة الأمريكية، والتي تثير لدى الكونغرس والمجتمع المعارضة الغريزية. ينسب المدير الاسبق للمخابرات المركزية لهذه العمليات: التدخل في شؤون نيكاراغوا، ويبدي تيريز خوفه من تكرار الفشل الامريكي في فيتنام من جهة، والخلافات بين المخابرات المركزية والكونغرس الأمريكي من جهة أخرى.

برزت وجهات نظر أخرى في كتاب "الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية، السياسة وكيفية تحقيقها"، الذي ألفه المسؤول السابق في مجلس الأمن القومي العميد المتقاعد جوردان وعضو مجلس الشؤون الدولية العقيد المتقاعد تايلور الأصغر. يمكن ان يؤدي التوسع الكبير في العمليات التخريبية ـ حسب رأيهما ـ إلى تأسيس "آلية للمراقبة" إذ يمكن أن ينشأ داخل الولايات المتحدة وخارجها ظرف غير مناسب ابداً للنشاط التجسسي". (18)

كان مقرراً خلال فترة ادارة تيرنيد للمخابرات المركزية التعتيم على عمليات التخريب السرية، وتم تغيير اسم العمليات السرية إلى اسم أكثر اعتدالاً هو العمليات الخاصة. نص القرار الصادر عن الرئيس كارتر برقم 12036 على ما يلي:

"تنفذ العمليات الخاصة في الخارج تأكيداً لأهداف السياسة الخارجية. ويجب ان تساعد هذه العمليات على تحقيق البرامج السياسية الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية في الخارج، تخطط العمليات السرية وتنفذ بشكل لا يظهر معه دور الحكومة

الأمريكية ولا تظهر اية حاجة للاعتراف بهذا الدور على الصعيد الشعبي. ولا تدخل العمليات الخاصة ضمن النشاط الدبلوماسي، ولا في عملية جمع المعلومات التجسسية ولا في عمليات أخرى ضمن النشاط الدبلوماسي والاستخباري". (19)

لم تستخدم تسمية "العمليات الخاصة" في الصحافة الأمريكية. تكتب هذه الصحافة عن العمليات السرية (كوفيرت أكشين) التي تعتبر أكبر اسرار لينغلي. يجب على فرع العمليات الاستخبارية الحفاظ على سرية نشاطه امام تشكيلات المخابرات المركزية الأخرى حتى فرع المعلومات الاستخبارية ويسمى هذا بمبدأ "الحواجز غير النفوذة"، وقد انطلقت بعض الأصوات لتمييع هذا المبدأ على اعتبار ان بعض المحللين حصلوا على تصور عن مصادر المعلومات البشرية من فرع العمليات الاستخبارية، وتمكنوا بشكل أفضل من الحكم على مستوى هذه المعلومات. يعتبر بعض خبراء التجسس انه لا مبرر لعدم مشاركة فرع المعلومات في التخطيط للعمليات السرية. وبقى النقاش حول ضرورة أو عدم ضرورة استخدام الجواسيس المخبرين في دور المخربين والارهابيين ودعاة النشاط التخريبي.

ليس من الخطأ في شيء إعطاء نشاط المخابرات الأمريكية طابعاً تحليلياً، على خلاف النشاط التخريبي. فما يميز محللي المعلومات عن رجال العمليات من "فرسان الدرع والخنجر" هو موضوعيتهم تجاه التأثير السياسي مهما كان مصدره، إلا أن الواقع يختلف تماماً.

تمثل المعلومات عن الاتحاد السوفييتي وقدرته الدفاعية وإمكاناته الاقتصادية "ونواياه" النتاج الرئيسي الصادر عن مراكز التحليل التي تديرها المخبرات المركزية لقد ظهرت منذ البداية على هذا النتاج بصمات الجنون المعادي للسوفييت. يكفي هنا ذكر مثال واحد: يتذكر دوفوريت فإن سليك العضو السابق في المجلس الوطني للتقديرات الاستخبارية: "لم يكن في تحليل الاستخبارات أدنى شك في أن الروس سيهاجمون أوروبا ، كان السؤال متى سيتم هذا في عام 1950أم في عام 1951أم انهم سينتظرون حتى عام(1955) ؟ (20)وبغض النظر عن الاعتبارات التي تبناها البيت الأبيض (حتى المتطابقة مع توقعات المخابرات) فإن هذه التحليلات شكلت ضغطاً عليه لتصعيد الحملة للسوفييت. الا أن الحياة أثبتت وبشكل قاطع بطلان تكهنات التجمع الاستخباري الأمريكي. ولكن هل علمته ولو الشيء القليل؟.[3]

ولعله من تمام التعريف بوكالة الاستخبارات المركزية أن نقول أنها جهاز لا يملك أية صلاحيات لإعمال القانون مثلما هو الأمر لمكتب التحقيقات الفيدرالي الذي أنشئ بالأصل تابعاً لوزارة العدل عام 1908 م. لذلك فسلطته تغطي مجالات عدة منها الحقوق المدنية ومكافحة الإرهاب ، ومكافحة التجسس الأجنبي والجريمة المنظمة والمخدرات ، وجرائم الجنح الكبرى ، وجرائم العنف ، والمال.

3-(البيت الأبيض وأسرارالمخابرات الأمريكية) ل: ف.ف بتروسينكو ترجمة الدكتور ماجد علاءالدين -ماجد بطح

لذلك فوكالة الاستخبارات المركزية هي من هذه الناحية جهاز لايصلح لأفراده استعراض بطاقاتهم في العادة، ولعل جزءاً كبيراً من هذا إنما يتأتى من كون وكالة الاستخبارات المركزية لا تتعامل مع المواطنين الأمريكيين لأن عملها يتركز حول جمع المعلومات المتعلقة بالبلدان الأجنبية ومواطنيها، لذلك يمنع عليها جمع معلومات تتعلق بأشخاص أمريكيين. لهذا فهي أشبه بميليشيا سرّية تعمل لجهة ما، لكن تلك الجهة تتبرأ من هذه الميليشيا إن افتضح أمرها.

وتعد وكالة الاستخبارات المركزية المصدر الأساسي للمعلومات بالنسبة للرئيس ورجال السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة، وهذا ما يجعلها المؤثر الأكبر في رسم سياسات واشنطن.

كما تعد وكالة الاستخبارات المركزية الهيئة الوحيدة المستقلة عن التبعية لأية جهة أخرى، وهذا ما لا نجده في الأجهزة الأخرى التي هي مجرد توابع لوزارات حساسة وهامة.

كما أن هذه الاستقلالية تعطي نوعاً من التكامل التخصصي، إذ أن إطار العمل في الوكالة من أبسط عميل إلى المدير، لا يخرج عن دائرة التخصص، بينما الأمر في الأجهزة الأخرى غير هذا، فقد يكون أعضاء جهاز استخبارات الخزانة مكوناً من أعضاء متخصصين بينما هم في النهاية تابعون لوزير الخزانة مثلاً، والذي ليس ضرورياً أن يكون رجل مخابرات.

من هنا أتت أهمية وكالة الاستخبارات المركزية التي تشكل العمود الفقري في المنظومة الأمنية والسياسية الأمريكية.

وإذا ما قارنا وكالة الاستخبارات مثلاً بوكالة الأمن القومي، فإننا سنكون مضطرين للقول أن وكالة الأمن القومي هي أضخم جهاز استخباراتي في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يبلغ عدد موظفيه حوالي (55000) شخص، كما يبلغ عدد أبراج وصحون التصنت التابعة له (4000) برج وصحن حول العالم، كما أن ميزانيته لا تقل عن ميزانية وكالة الاستخبارات المركزية، ورغم ذلك فإن أخطر جهاز يبقى هو (السي. آي. أي) وكالة الاستخبارات المركزية.

وبموجب قانون الأمن القومي لعام 1947م، فإن الوكالة المركزية تعطى السلطة على كافة الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية الأخرى، غير أنه من الواجب الإشارة إلى أن كل ما بذل لتقنين وتحديد وضبط دور وحدود الأجهزة الاستخباراتية في الولايات المتحدة الأمريكية، لم يؤت ثمره، لذلك تسجل الكثير من عمليات التقاطع التي كثيراً ما تشنج العلاقة بين جهازين أو أكثر، كما أن الولاءات عند الشخصيات الأمريكية سواء الرسمية أو قيادات اللوبيات والمتنفذين الأقوياء إنما تقوم تجاه هذه الأجهزة على لعبة المصالح، وهي في كثير من الأحيان محكومة بطابع العلاقات والأمزجة الشخصية، فالذين ليست لهم علاقة طيبة مثلاً مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية، يصطفون في صف مدير الجهاز المنافس له، وهو المخابرات العسكرية.

ولأن التنافس بين الأجهزة الاستخباراتية في الولايات المتحدة هو الحاكم على العلاقة بينها، فإن كل جهاز يبقى في العموم

ليس في المجال العسكري لتقرير المصير بل في المجال الاقتصادي (الاجتماعي) وهو النضال ذاته الذي أشار إليه "سلفا دور آلندي" في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 4 كانون الأول/ديسمبر 1972 حين قال: "جئت اليوم لأنّ بلادي (التشيلي) تواجه مشاكل ذات طابع كوني وموضع اهتمام دائم لدى مجلس الأمم هذا وهي: النضال من أجل التحرّر الاجتماعي، وبذل الجهد من أجل الرّفاه والتقدّم الفكري، والدفاع عن الهوية والكرامة الوطنيتين".

إنّ كون المال "دولة بين الأغنياء" هو الذي حرّك منذ سنوات موجة النقمة على الشركات العابرة للقوميات، وعبّرت آنذاك، إنّ غياب التكافل والتكفّل الاجتماعي قد ولّد حالاً من الصّراع والتسابق غير المتكافئ للاستفادة من موارد الكون بين الأغنياء والفقراء تحت شعار براق هو تكافؤ الفرص، وهو الأمر الكثير الشبيه بإجراء ماراطون أو سباق بين شيخ في الثمانين وشاب في العشرين بالعدل بينهما في الفرص بجعلهما ينطلقان من خطّ واحد.. وقد أصبح الاستثمار غير المباشر الذي تعتمده بعض الدول الغنية إزاء دول أخرى فقيرة في شكل قروض نوعاً من زيادة إفقار لهذه الدّول عبر جدولة ديونها ووضعها "تحت التصرّف".

وقد لا أذيع سرّاً إذا قلت أنّ "مشروع مارشال"أخذ شكل (أوأخذ الذي مازال البعض يعتبره مثالاً للجود الأمريكي تجاه الأوروبيين قد كان في الحقيقة أداة لتحويل الصّناعة الأوروبية من

قاعدة استهلاك الفحم إلى قاعدة استهلاك النفط، وهو الأمر الذي جعل الشركات الأمريكية تجني أرباحاً غير معقولة من احتياطاتها من النفط الخام الشرق أوسطي منخفض التكاليف الذي أعيد تصديره إلى أوروبا.. إن طغيان "المادية" و"المصلحية" على العلاقة النفعية التكافلية والتي من المفروض أن تقوم على اعتبار "الدين" و"الأخلاق" و"الضمير" و"الإنسانية" قد جفّف مصطلح "التكفّل والتكافل الاجتماعي" في إطاره الشعبي والرّسمي (القطري والدّولي) وهو ذاته (التعاون الاجتماعي) الذي كتب فيه آدم سميث منذ ما يربو على مئتي عام.

يقرّر لويس آ.كوسر في "الصّراع الاجتماعي ونظرية التغيّر الاجتماعي": "إنّ أيّ نظام اجتماعي يتضمّن توزيع القوّة والثروة والوضع بين الممثّلين الأفراد وبين المجموعات الثانوية المكوّنة له. وكما أُشير سابقاً، ليس هناك انسجام كامل بين ما يعتبره الأفراد والمجموعات ضمن النظام حقاً لهم، وبين نظام التوزيع، والصّراع يظهر في محاولة المجموعات المتنوّعة المحيطة ومحاولة الأفراد الخائبين لزيادة نصيبهم وتوطيد مراكزهم في حين إنّ محاولاتهم هذه سوف تجد مقاومة من قبل أولئك الذين كانوا سابقاً قد أقاموا مصالح لهم واستثمروها ونالوا منها الشرف والثروة والقوّة".

إنّ هذا التدافع والصّراع الطبقي بين الفئات الغنية والمحرومة أمرٌ ضروري عند "سوريل" الذي يرى أنّ الاختفاء التدريجي للصّراع الطبقي يؤدّي إلى انهيار للثقافة، وإذا جئنا إلى محاولة لفهم ذلك فإننا يمكن أن ندرك أنّ سقوط الإنكار لظاهرة ترف

النخبة على حساب العامّة معناه سقوط ظاهرة التكافل والتعاون الاجتماعي الذي يمثّل ركيزة الثقافة الإنسانية.

إنّ الذي يحدث اليوم في سياتل أو في دافوس أو في غيرهما من مناطق العالم من صراع بين النخبة المستأثرة والطبقة المسحوقة ممثلة في بضعة آلاف من المتظاهرين، هو ذاته الذي كان يحدث في الزمان الماضي ويأخذ أشكالاً عدّة منها "حركة الصّعاليك" التي قادها عروة بن الورد ، إذ أنّ كل هذه الحركات الثائرة في وجه "الجيب المالي المستأثر" تجتمع في كونها جميعاً حركات تجتمع حول ما يسمّيه علماء النّفس الاجتماعي بغريزة رفض الموت، وقد أشرنا إلى أنّ هذا الإحباط و"الحياة الشبيهة بالموت في هوائها" هي التي تولد العدوان كما يرى جون دولارد ، ويعبّر عروة بن الورد عن المعنى ذاته فيقول:

دعيني أطوّفُ في البلاد لعلّني
أفيد غنىً فيه لذي الحقّ محمل
أليس عظيماً أن تلمّ ملمّة
وليس علينا في الحقوق معوّل
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادث
تلمّ به الأيام فالموت أجمل-

إنّ الموت أجمل إذن من حياة لا يملك فيها المرء قوته.. إنّ الخوف من توجّه المشروع الاقتصادي العالمي، بل التراكم الرّأسمالي الاقتصادي نحو تفجير للأوضاع وللثورات وللصّراعات بين الطبقات هو الذي جعل بعضهم يستدرك، ويحاول إعادة النظر في

هذا المشروع بإيجاد توفيق بين النظريات الاقتصادية معتبراً ذلك "الطريق الثّالث" الممتصّ للكوارث الاجتماعية التي بدأت العولمة تفرزها منذ الآن ويصوّر توني بلير رئيس الوزراء البريطاني الوضع العالمي الدّاعي إلى مثل هذا الطريق الجديد فيقول: "إنّ التحدّي الذي نواجهه كبير، يتمثّل في الأسواق العالمية والفقر المستمرّ والعزلة الاجتماعية وارتفاع معدل الجريمة، والانهيار الأسري، وتغيّر دور المرأة والثورة في التقنية، والعداء الشعبي للسياسة والمطالبة بإحداث إصلاحات ديمقراطية كبيرة، والتطرّق إلى عدد من القضايا البيئية والأمنية التي تحتاج إلى عمل دولي".

ويعرّج بلير عمّا يريد النّاس أمام هذا كلّه فيقول: "يبحث النّاس عن القيادة إنهم يريدون معرفة كيفية التأقلم والإزدهار وكيفية بناء الاستقرار والأمن في هذا العالم المتغيّر، إنّهم يحتضنون قيم التضامن التقليديّة للوسط اليساري والعدالة الاجتماعية، والمسؤولية وإتاحة الفرص، بيد أنهم يعرفون أنّه ينبغي علينا أن نتحرّك بصورة حاسمة إلى ما وراء طرق التفكير العتيقة، إلى ما وراء اليسار العتيق المهموم بهيمنة الدّولة والضرائب الباهظة ومصالح المنتج وسياسة حزب اليمين الجديدة بعدم التدخل التي تدافع عن الفردية والاعتقاد بأنّ تحرير الأسواق هي الإجابة الشافية لكلّ معضلة.

إن مصطلح الأمن الذي جاء في كلام توني بلير يعدّ عقدة تتمفصل وتتداخل فيها الكثير من المصطلحات الأخرى، ومنها الصّراع المفضي إلى اللا أمن.

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن الحياة الكريمة لها دعامتان هما الإطعام من جوع والأمن من خوف: (فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ويقابل هذا "ألبسهم لباس الجوع والخوف". إنّ الجوع هاجس أمني لأنّه يهدّد حياة الفرد والجماعة، وحين تكون المسألة تمسّ الحياة فإنّ الفرد المحبط من وضعه والمقاوم للموت غريزياً ينتفض في ما يعدّهُ هو آخر حركة قبل الموت، وهي الحركة الثائرة على النخبة الاقتصادية أو "مديري العالم" بلغة العولمة، وحين يحدث ذلك تحسّ هذه النخبة الاقتصادية بالخوف واللا أمن على أموالها ثمّ على حياتها. وآنذاك فاستئثار مجموعة ما بالمال دون غيرها يعتبر إرهاصاً لحالة اللا أمن التي يقسّمها الفريقان، فريق الفقراء الخائف على حياته، وفريق الأغنياء الخائف على حياته وأمواله، وآنذاك تتحوّل المادة إلى نقطة صراع.. ليس لكونها "نادرة" وغير كافية، بل لكونها موزعة توزيعاً ليس قائماً على إشباع متطلبات الحياة عند الطرفين، بل على إشباع ضروري عند جماعة وإشباع "نزوي" "ترفي" عند الأخرى..

لقد عالج الإسلام القضية الأمنية التي يتسبّب فيها المال داخل المجتمع بأن أعاد تقسيم المال على أسس أخلاقية زيادة على الأسس الاقتصادية التي كانت البشرية تعرفها منذ القديم، كالربح التجاري، وغيره..

فقد دخلت مصطلحات أخرى كالإيثار، والزكاة، والصّدقة والتّراحم، وكان لهذه القيم الدّور البارز في جعل المال مادة تعلوها

القوامة الدينية وتحتويها، وليس العكس وظهر مصطلح "ليس الزّهد أنّ تملك شيئاً، ولكن الزهد أن لا يملكك شيء" وقد أدّى ردّ مال الأغنياء على الفقراء إلى تقوية الأواصر بين هؤلاء وأولئك ممّا كان مانعاً من أيّ تكوّن أو ظهور لطبقات متمايزة، متنافرة، وبدل طبقية أو التمايز المادي ظهر التمايز الرّوحي الديني: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) (والسابقون السابقون أولئك المقرّبون)"المهاجرون، الأنصار، العشرة المبشرون بالجنة،..." وكان ذلك مدعاة إلى التّنافس (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ممّا جعل المادية وسيلة لهذا التنافس "بالتّسابق في الخيرات.

إنّ السّلطة في عالم اليوم سلطة مجزأة بين الشّعب والجيش والسّياسي والاقتصادي، ففي الدّول الفقيرة والنامية مازال الصّراع بين الشعوب والسياسيين أو بين الشّعوب والجيش، أمّا في المجتمعات التي استطاعت تحقيق قدر من الحرية السياسية (الديمقراطية) فقد تحوّل الصراع إلى صراع بين الشعب والسلطة الاقتصادية التي حلّت محلّ السلطة السياسية على حسب رأي جاك جرمين الذي يقول في كتابه الرأسمالية: "في أكثر قطاعات الانتاجات عقد لواء السّيطرة لعدد صغير جداً من الشركات العملاقة وأصبح وجود سلطة اقتصادية قوية أمرٌ لابدّ منه، وذلك لأنّ مديري الوحدات الكبرى المسيطرة يملكون امتيازات كثيرة تمكّنهم من الوقوف في وجه السلطة السياسية ومحاولة التأثير عليها لإفسادها أو لاستبعادها". وفي كتابه "صراع الطبقات"

يقول ريمون آرون: "ولننظر الآن في السّلطة الاقتصادية أنّ المواطنين في المجتمعات الصناعية بصفتهم شغيلة هم خاضعون بصورة أقرب لسلطة أولئك الذين ندعوهم "مدراء العمل الاجتماعي" الذي نلحظ منهم فئتين: فبعضهم هم مالكو وسائل الإنتاج الذين يدعون بالرّأسماليين والآخرون هم مدراء دون أن يكونوا مالكين، ليس لكم إلا أنّ تذهبوا إلى معامل "رينو" Renault لتجدوا عمّالاً خاضعين لسلطة رئيس المشروع".

إنّ التدقيق في الوضع الاقتصادي والسياسي لإمريكا اللاتينية يمكن أن يجعلنا ندرك أن الاقتصاد هو الموجّه الحقيقي للسياسة اليوم وربما تكون هذه الصّورة بياناً لذلك:

1ـ عندما فاز كارلوس منعم مرشح الحركة البيرونية في انتخابات الرئاسة لعام 1989م كانت "اميليا لاكروز دي فورتابات" وهي أغنى امرأة في الارجنتين تصرّح لمجلة "فانتيني" الأمريكية أنّ النشيد الوطني للحكومة الأرجنتينية الجديدة سيكون "معاداة الرّأسمالية" ولكنّ الرّئيس الجديد، وبدل أن يتّجه إلى تكريس مبدإ البيرونية والقطاع العام فإنّه ركب موجة النقمة الشعبية التي عجلت بذهاب سلفه "ألفونسين" عبر مظاهرات ناهبة مطالبة بالخبز.

لقد أدار كارلوس منعم ظهره للمبادئ المعادية للانفتاح والتي رفعها حزبه منذ تأسيسه سنة 1947، وبدأت توجّهاته الإصلاحية والانفتاحية على اقتصاد السّوق تتّضح يوماً بعد يوم مدعومة بالتسليم الشعبي الذي لم يعد يطلب تكريس شعار سياسي أو

إيديولوجي عتيق بقدر ما صار مستوعباً لمتطلبات التوجهات العالمية القائمة على الأنانية المادية المعبّر عنها اقتصادياً "بالخصخصة".

إنّ هذا يعود بنا إلى نظرية "جون دولارد" و"نيل ميلر" (الإحباط) ودوره في التّغيير.

إنّ الوضع الاقتصادي المتردّي قد استطاع أن يحدث هزّة اجتماعية شديدة أحدثت هذا الانفتاح الاقتصادي والذي يؤدّي إلى تبلور سياسي جديد للبلاد.. وهو ذاته التبلور السياسي الذي أحدثه طغيان المادة في الدول الرأسمالية والذي ولّد هزة اجتماعية ظهرت "إعلامياً" في سياتل بأمريكا ودافوس بسويسرا.

ولا أحد ينكر ما أحدثته الكتب الاقتصادية في التموقعات السياسية العالمية وما نتج عنها من الأحلاف والحروب "الساخنة" والباردة، ومن أمثال تلك الكتب "ثروة الأمم" لآدم سميث و"رأس المال" لكارل ماركس ونظرية اللورد "كاينز" القائمة على الاستخدام الكامل وفائدة النقد والتي ركزت على القضايا الاقتصادية العامة والكميات الإجمالية: كالدخل القومي ومستوى الاستخدام، والتوفير والتوظيف الجماعيين مبرزاً الروابط الجامعة بين هذه الكميات.

2. إنّ الدولة كما يصوّرها "هوبز" في اللفياتان (التنين) هي ذلك الجسد الذي يؤثر بعضه على بعض.

إنّ تنامي تجارة المخدرات وما نتج عنها من وجود شبكات مسلّحة تدافع عن مصالحها الاقتصادية أمام سلطة القانون قد

أحدث ثلمة كبيرة في بعض أنظمة المنطقة الأمر الذي جعلها في بعض الأحيان مظلات سياسية صورية ضعيفة خاصة مع ظهور دور "الاقتصاد الأسود" لهذه الجماعات في الساحة الاقتصادية، في موازاة الاقتصاد الرّسمي للدولة..

وقد أدّى الإثراء السّريع للنخبة الجيب في إطار شبكات تجارة الممنوعات إلى استقطاب لفئات واسعة من المجتمع تحت وطأة الحاجة والضرورة، وهو الأمر الذي سيحدث تناميه تحوّل التجارة الممنوعة إلى اقتصاد شعبي رائج في ظلّ الظروف السيئة لاقتصاد الدولة المهترئ، الأمر الذي يجعل رؤوس تجارة الممنوعات والاقتصاد الأسود "جماعات ضاغطة" لها كل وسائل النفوذ ترغيبية (المال) وترهيبية (الجريمة)، وقد كانت العقود الماضية مجالاً لانكشاف الكثير من التورطات لرجال السلطة في لعبة المال المرتبط بهذه الشبكات.

إنّ المادية الإلحادية قد بدأت تصطدم بمطلب مراعاة "الرّوح" و"الثقافة" وكنت قد قرأت منذ مدة في جريدة "لوموند" الفرنسية مقالاً بعنوان "سياتل: رهانات حقيقية وجدالات سيّئة" لبيير موسوكوفتشي" "Pierre Moscovici"الوزير المفوّض للشؤون الأوروبية، يقول فيه: "لكنْ نؤكّد أيضاً، وبصفة عامّة أنّ الشّرط الأوّل للتنمية الاقتصادية هو معرفة الواقع الثقافي والواقع الاجتماعي، يجب أن نحترم هذه الخاصيّة الأساسية للشعوب في الشمال مثل الجنوب، لا يوجد من ناحية اقتصاد

عالمي مجرّد ومن الأخرى ثقافات ناقمة تتغذى من ردّات فعل (الإنعكاسات) الهوية"[4] .

إن فعل المقاطعة الشعبية الجماهيرية للكوكاكولا و للهمبرغر ولغيرها من المنتجات دليل على أن العنصر الثوري الجماهيري لم يمت ، و هو اليوم يفاجئ هؤلاء بما يوقع بهم خسائر لم تكن في حسبانهم يوماً .

و ما دامت الجماهير بهذا الحضور ، أفلا يكون من الواجب كسر الدائرة الفكرية و الواقعية التي يسير فيها الناس مع التيار الرأسمالي الوهمي، و ينساقون له مسلّمين ؟!

أليس من الواجب إيجاد أوعية جديدة لاستيعاب الفعل الجماهيري الشعبي ؟

أول واجب هنا ، هو أن لا أن نخدع أنفسنا بأن المشروع الجماهيري لم يتأثر بالمد الرأسمالي ، و انهيار الشيوعية .

لا بد أن نعترف أن المرحلة الماضية كانت مرحلة الانجرار العام مع مجرى النهر الرأسمالي ، لدرجة أن المنجرين لم يكونوا فقط أشخاصاً ، فهناك دول كثيرة سقطت في اللعبة ، و منها دول أوروبا الشرقية و دول الاتحاد السوفييتي سابقاً .

كما التحقت الكثير من الدول العربية بموكب الرأسمالية باسم الشراكة مع الغرب ، أو غير ذلك .

كل هذا يدل على قوة التيار الجاذب ، الذي أسقط - و لو نفسياً - الواقفين ضده و الرافضين له ، خاصة أنه تم تصوير

Le monde. 17053, 24 Novembre. 1999 (4)

الرافضين للرأسمالية في مرحلة ما على أنهم من بقايا الشيوعية الذين يبنون مواقفهم على التعنت الانتحاري (عنزة ولو طارت) .

اليوم بدأ تبلور فكر جديد قائم على معنى جديد للمصلحة .

نلاحظ جيداً أن الانضمام إلى الولايات المتحدة الأمريكية سواء اقتصادياً أو عسكرياً كان يعني التقوي و المنعة .

بينما اليوم أصبح يعني الدخول في دائرة الاستهداف ، و إلا فما الذي دفع حكومة مانيلا إلى إعلان انسحابها من التحالف العسكري في العراق بعد اختطاف الرهينة الفلبيني (أنجيلو دولاكروز) ؟

كان البقاء مع أمريكا يعني بالنسبة للفلبين خسارة كبيرة ، إذ أن آلاف العمال الفلبينيين المتواجدين في الخليج و العراق، والذين يخففون عن الفلبين الحمل الإقتصادي بما يدخلونه سنوياً إلى خزينتها ، سيكونون في (مرمى النار) ، و هو ما يعني رجوعهم إلى بلادهم .

إذن صار حتى الحساب الإقتصادي لا ينسجم مع التواجد مع أمريكا ضد الجماهير .

و لم يعد الذي يتحكم باللعبة الإقتصادية العالمية هو القوى الكبرى ، بقدر ما صارت الجماهير هي التي تتحكم بها .

إذن فإن الجماهير لم تعد فقط قوة سياسية بالمعنى السياسي التقليدي ، بل صارت كذلك قوة سياسية بالمعنى الذي ترتبط فيه السياسة بالمصالح الإقتصادية ، و لأن أساس الرأسمالية هو التوسع الإقتصادي فإن عنصر الجماهير الذي أصبح يحد من هذا

التوسع قد دخل لعبة ضرب الرأسمالية و تكسير أهم ما تقوم عليه من الرؤى و هي رؤية التوسع و التمدد و الهيمنة .

هل يمكن أن تكون هناك رأسمالية بدون ظروف استثمار مناسبة ؟

الجواب : لا .

هل يمكن أن تنجح الرأسمالية دون أمن يحفظ المصالح والمصانع و العمال و الشركات و أنابيب النفط ؟

الجواب : لا .

هل يمكن أن تكون هناك رأسمالية بدون أسواق في منطقة متفجرة ترفض الرجل الغربي جملة و تفصيلاً ؟

الجواب : لا .

هل يمكن أن تكون هناك رأسمالية مع انكماش الشركات وعودتها إلى بلدانها الأم ، و بالتالي سقوط النظرية الميركانتيلية، و سقوط الإستثمار المباشر ؟

الجواب : لا .

لذلك لا بد أن نسجّل هنا أنها (معركة الجماهير والرأسمالية)، فمن ترى سيصمد إلى الأخير ؟

غير أن السؤال الذي يفرض نفسه بقوة هو : كيف تكون الجماهير عنصراً في معادلة الصراع و هي التي أوهمنا الرأسماليون أنها ماتت و انتهت ؟

علم ذلك عند ربّي ..

ثم عند الرأسماليين .

تجديد آليات التواصل مع الجماهير

لقد أثبتت الحملة الغربية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية على المنطقة أن العنصر الوحيد الذي يبقى مستعصياً على الكسر و الإحتواء هو الجماهير .

إن الأنظمة تسقط ... حدث ذلك كثيراً ، و حدث الآن في العراق ، غير أن الجماهير لا يمكن إسقاطها .

كما أن الجيوش النظامية يمكن أن تسقط ، حدث ذلك كثيراً ، و كان آخره في أفغانستان و العراق ، بل إن الجيوش مهما كانت لا يمكن أن تواجده ترسانة حلفاء مدججة بأشرس الوسائل والمعدات المتطورة .

وحدها الجماهير التي أثبت الواقع أنها لا تغلب و لا تسقط ، و قد ظلت مستعصية على الهزيمة .

حدث ذلك في العراق و أفغانستان و فلسطين و في كل مكان وجدت فيه معركة كانت الجماهير طرفاً فيها .

إن هذا يغري بخلاصة مستقرة يمكن أن نثبّتها هنا ، و هي أن الجماهير تمثل العنصر الأقوى في معادلة المواجهة ، كما تمثل الخيار الإستراتيجي الأقوى ، لهذا السبب يعمل العدو على إضعاف هذا العنصر ، و لهذا السبب أيضاً يجب على المنطقة الاهتمام بالعنصر الجماهيري في المواجهة .

إن ضعف المشروع الجماهيري يرجع إلى انعدام الآليات التي يتم بها احتواء و توجيه و تفعيل دور الجماهير ، و هذا الذي نعبر عنه بانعدام المشروع الواقعي .

نعم ، هناك مشروع عمل جماهيري ، لكنه مشروع قديم ، اهترأت أسسه و أساليبه و خططه و برامجه و وسائله ، لذلك لم يعد قادراً على استيعاب الفعل الجماهيري .

إنهم يتحدثون اليوم عن مشاريع لضرب البنية الجماهيرية ، و من هذه المشاريع (مشروع الشرق الأوسط الكبير) ، و لا شك أن أي مشروع ، مهما كان يمكن أن يتم إفشاله عن طريق الجماهير ، حتى و لو كانت الأنظمة محتضنة لهذا المشروع .

إن المقاطعة الشعبية لمؤسسة أو شركة أو منتوج ما ، من شأنه أن يؤثر كثيراً على تلك المؤسسة أو ذلك المنتج ، و لا يستطيع أي نظام مهما كان أن يفرض على الناس استهلاك هذا المنتوج أو التعامل مع هذه الشركة ، لهذا فالأمر يرجع بالأساس إلى الجماهير .

لكن المشكلة تكمن في كيفية توجيه هذه الجماهير إلى مثل هذه المقاطعة لهذه المؤسسة أو هذا المنتوج .

كيف يمكن توجيه حملة إعلامية دعائية ناجحة لتحقيق هذا الغرض ؟

و كيف يمكن إقناع الجماهير لتقف موقفها ؟

كيف يمكن التواصل مع الجماهير ؟

إن اختراق أي نظام بتوجهاته حتى إذا كانت انبطاحية والوصول إلى جماهيره أمر ممكن ، لكن المسألة تحتاج فقط إلى آلية و أساليب و برنامج .

لقد كان الأسلوب الذي حكم المشروع القديم للعمل الجماهيري

هو التواصل مع مجموعات أو شخصيات تعتبر أقطاباً للعمل الجماهيري في بلدانها .

لهذا ومنعاً لاختراقها و اختراق توجهاتها الوطنية عمدت الأنظمة إلى احتواء هذه الأقطاب الجماهيرية، سواء بالترغيب أو بالترهيب .

لقد عملت هذه الأنظمة على ترسيخ مبدإ (الشؤون الداخلية) ، معتبرة التواصل مع ساحات أخرى عمالة يعاقب عليها القانون ، و في هذا الصدد تم تجريم (الاتصال بالسفارات) ، بتسويق فكرة مفادها أن التعامل مع السفارات الأجنبية يعني (خيانة الوطن) .

بمثل هذا تم احتواء هؤلاء الأقطاب من شخصيات و جماعات، و تم ضبط أدائها ليكون ضمن السياسة الوطنية لا يتجاوزها ولا يزايد عليها .

لهذا صار لابد من إحداث اختراق جماهيري آخر ، يقوم على :

- التواصل المباشر مع الجماهير عبر الوسائل المتاحة ، من إعلام و أنترنت ، و غيرهما .

وبهذا يتم تفويت الفرصة على الأنظمة التي دأبت على إنهاء دور الجماهير عن طريق إنهاء دور الأقطاب و الزعماء الذين يحركونها .

ما الذي يمكن أن يفعله نظام تم استهداف جماهيره الحية عن طريق مواقع الأنترنت و القنوات الفضائية ؟

هل يستطيع أن يمنع هذه الجماهير من الاعتقاد بأنها ضد المشاريع الأمريكية التي تعمل على احتلال المنطقة و قتل دور الجماهير فيها ؟

هل يستطيع أن يمنع هذه الجماهير من التفاعل مع المواعيد الجماهيرية في العالم ؟

هل يستطع منع هذه الجماهير من التواصل مع الساحات الأخرى ؟

هل يستطيع أن يلزمها بفكرته و انبطاحه ؟

هل يستطيع أن يقنعها بوجوب التسليم للعدو في الأرض أو الثروات أو الثقافة ؟

هل يستطيع أن يفرض على الجماهير استهلاك منتوج معين رأت مقاطعته ؟

هل ...؟

هل ..؟

هل ...؟

إن نقطة القوة في المشروع الجماهيري القديم هي ذاتها نقطة الضعف في المشروع الجماهيري الجديد .

المشروع القديم قوته في الوجوه التي استطاع أن يتواصل معها هنا و هناك ، اليوم تبدو هذه الوجوه ضعيفة ما لها من شيء سوى استذكار ماضيها المشرق و تصفح ألبومات الصور التذكارية بالأبيض و الأسود .

هذه الشخصيات لم تعد قادرة على العطاء ...

إن مختصاً واحداً في الأنترنت قادر على تحريك ساحات وإيصال الصوت إلى حيث لا تستطيع الوجوه القديمة فعل عشره .

لقد تماهت حركة الوجوه القديمة مع حركة الوسط الذي تعيش

12٪ من الميزانية العسكرية، غير أن محاولة وضع اليد على وجوه إنفاق هذه المخصصات يعد أمراً مستحيلاً، لأن ذلك يقتضي كشف الأجهزة الاستخباراتية عن مشاريعها وعملياتها في الداخل والخارج، وهذا يعني كذلك أن هناك هامشاً كبيراً للتلاعب والفساد والاختلاس المالي داخل دهاليز الاستخبارات.

وقد أُسْنَدَتْ إحدى لجان مجلس النواب عام 1975م لهيئة تفتيش الكونغرس ـ إدارة الحسابات العليا ـ مهمة إعداد تقرير مفصل عن نفقات المجتمع الاستخباراتي وبدأت هذه اللجنة عملها برئاسة عضو الكونغرس "بايك"، وكذا لجنة تشرتشل من مجلس الشيوخ، غير أن العملية تعثرت ليصرّح (ستاتس) المدقق العام لإدارة الحسابات العليا لأعضاء اللجنة قائلاً: "الطريق إلى معلومات دقيقة، في أحسن الأحوال محدود جداً، إن التجمع الاستخباراتي يتعاون معنا بين الحين والآخر، إذ يقدم بعض ما نطلب من معلومات، غير أنه لهذه اللحظة لا نملك طريقاً إلى التقارير المالية للتجمّع لنستطيع تقييم دقة التقارير المقدمة"، ورغم أن الأبواب أغلقت في وجه وصول اللجنة إلى أرقام وتقارير دقيقة، فقد استطاع (ستاتس) أن يقدر مجرد تقدير وفقاً لما توصل إليه من المعطيات أن الغلاف المالي المخصص للاستخبارات في الولايات المتحدة الأمريكية يمثل من (2) إلى (5) بالمائة من الميزانية العامة لأمريكا".

وقد كان هذا الغموض والسرية اللذان يلفان وجوه الإنفاق في التجمع الاستخباراتي مُنْطَلَقاً عند الكثيرين لاتهام التجمع

بالفساد المالي، وليلقي ذلك باللائمة أيضاً على المشرعين الذين يوافقون على الاعتمادات التي تطلبها أجهزة المخابرات، دون معرفة وجوه إنفاق هذه الاعتمادات.

ومع تدهور الأوضاع الاقتصادية في بداية السبعينيات، وارتفاع عجز الميزانية، وزيادة التضخم، ازداد دافع الحد من الغموض الذي يكتنف الجانب المالي عند هذه الأجهزة.. وظهرت مصطلحات الشفافية والمساءلة، والوضوح.

كما أن تدهور الأوضاع الاقتصادية وما استدعته من التعامل والضبط الجديد لمصاريف المخابرات، تزامن مع ازدياد الاتهامات الموجهة إلى هذه الأجهزة حول نشاطاتها غير القانونية، وأخطائها الكثيرة، التي أدّت إلى انهيار الثقة فيها.

ومع تزايد الهجوم في الصحف والمنتديات والمؤسسات على التجمع الاستخباراتي ازدادت قوة موقف المطالبين بأن تكون مصاريف الأجهزة الاستخباراتية واضحة ومعروفة. ولا شك أن هذا الضبط سيلغي الهامش الكبير للاختلاسات التي كان يقوم بها المتنفذون في تلك الأجهزة، وهو ما يعني اضطرارهم إلى التوجه إلى مجالات أخرى يضمنون بها استمرار تدفق الأموال في حساباتهم.

وهنا بدأ توطد وتنظيم العلاقات مع جماعات تمارس الممنوع، كتجارة الماس والمخدرات وغيرهما.. هو أمر اشتهرت فيه المخابرات الأمريكية.

وفي إطار محاسبة وضبط الأداء المالي للتجمع الاستخباراتي أسس ضمن "المكتب الإداري المالي" قسم سري جداً مهمته الموازنة بين نفقات دوائر التجسس وبين نتائج أعمالها.

وفي كانون الأول 1980م أصدر الرئيس رونالد ريغان أمراً لمدير وكالة الاستخبارات المركزية للاتفاق مع مسؤول الأجهزة الاستخباراتية المتعددة في إطار التجمع، للتوصل إلى صيغة تكوين موازنة وطنية لتمويل برامج التجسس خارج الولايات المتحدة، وتقديمها للرئيس للمصادقة عليها.

ويعطي أمر ريغان لمدير المخابرات المركزية صلاحية التفتيش المالي، وتقدير التناسب بين تمويلات بقية الأجهزة ونتائجها العملية.

وبهذا زاد نفوذ وقوة المخابرات المركزية وتوسعت صلاحياتها، وهذا ما دعا مخابرات وزارة الدفاع وهيئة الأمن القومي إلى التشبث بالاستقلالية، وعدم التسليم بهيمنة وإشراف وكالة الاستخبارات المركزية.

وبالنظر إلى المهام التي تضطلع بها الوكالة المركزية، وهي: تنفيذ البرامج التجسسية التخريبية، والتأثير في صناعة السياسة الخارجية والعسكرية للولايات المتحدة بما يتوافق مع خط الهيمنة والتوسع الذي لا يحبذ الساسة ظهوره في الواجهة السياسية للولايات المتحدة. فإنه لابد من دعم مركز الوكالة المركزية أمام غيرها من الأجهزة التي لا ترقى مهامها إلى درجة وحساسية مهام الوكالة المركزية.

عام 1971 تحدث (سيتينس) رئيس لجنة مجلس الشيوخ لشؤون التسلح قائلاً: "التجسس هو التجسس، ونحن قررنا امتلاك هيئة استخبارية وحمايتها، لذلك يجب علينا غض النظر عن كل ما تفعله، وأن نقبلها على حالها كما هو الواقع".

لذلك حينما يحاول السيناتور (بروكسماير) رئيس اللجنة الاقتصادية الموحدة للكونغرس دعوة هيلمس مدير المخابرات المركزية حينها، للتحدث في جلسة مغلقة، تدخل "العنصري" (راسيل)، رئيس لجنة مجلس الشيوخ لشؤون التسليح في ذلك الوقت، ومنع اللقاء.

حينها كتب الباحث (باورس) يقول: " طالما راسل حيٌ فإن هيلمس يعلم من يحق له طرح الأسئلة ونوعها وإجاباتها".

كل هذا يعني أن في وكالة الاستخبارات دهاليز مظلمة لا يجوز حتى للسياسيين والرسميين دخولها أو الاقتراب منها للقيام بأعمال وممارسات غير قانونية.

ورغم أن بين مكتب التحقيقات الفيدرالي FBA ووكالة الاستخبارات المركزية CIA منافسة سلبية هي أقرب إلى داء الضرائر، ورغم أن لكلا الجهازين استهدافاً استخباراتياً للجهاز الآخر، فإن تورط الجهازين كليهما يمنع أحدهما من نشر ملفات فساد الجهاز الآخر.

وبزيادة استشراء الفساد الاستخباراتي تزداد نسبة العمليات الفاشلة بوكالة الاستخبارات المركزية، لذلك يرى كبار متابعي ومنتقدي هذا الجهاز أن مشكلة وسرّ فشله ليس في نقص

الوسائل بل في الفساد، لذلك تجد هؤلاء يطالبون بإصلاح هذه الأجهزة، وفي هذا الإطار يأتي كتاب (إصلاح الاستخبارات) لويليام أودوم، والذي هو دراسة أجراها عام 1987حول المجتمع الاستخباراتي الأمريكي، وتوصل فيها إلى نتيجة واضحة، أن عدم إجراء إصلاحات جوهرية على تلك الأجهزة سيجعلها تفقد الكثير من فاعليتها، وفي هذا الصدد يقترح (أودوم) إعادة تسمية وكالة الاستخبارات المركزية، لإخراجها من دائرة الاسم القديم وإبعادها بذلك عن سجلها السابق المليء بالنقاط المحرجة.

ثم أن من الفساد في الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية لجوء العديد من ضباطها، سواء عند تقاعدهم، أو حتى أثناء خدمتهم إلى كتابة مذكراتهم، أو إصدار كتب عن عمل أجهزتهم تلك، مع ما يعني ذلك من تقديم خدمة مجانية لمن يريدون الوصول إلى معلومات حول هذه الأجهزة.

ومن ذلك أن كتاب (الفرقة الأمريكية السوداء) الذي كتبه هربرت باردلي عام 1931م قد كشف تفاصيل جديدة حول الإمكانات الحديثة لجهاز مكافحة الجاسوسية في الولايات المتحدة، مما ساعد اليابانيين على تحديث أنظمتهم وفقاً لذلك، الأمر الذي جعل الأجهزة الأمريكية تفشل في التنبؤ بهجمات (بيرل هاربر) أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان ذلك من أسباب إنشاء وكالة الاستخبارات المركزية (سي.آي.إيه) تماماً كما أن كتاب (قصر الألغاز) الذي كتبه (جيمس بامفورد) في الثمانينيات وقدم رؤية من الداخل لكيفية عمل وكالة الأمن

القومي الأمريكية، قد أفاد حسب الكثيرين، عناصر تنظيم القاعدة في الاستفادة من الثغرات الأمنية لدى تخطيطهم لهجمات 11أيلول سبتمبر 2001م.

ودائماً فحينما يريد البعض الكتابة عن فساد وكالة الاستخبارات المركزية فإنهم يحصرون ذلك فيما قامت به من عمليات اغتيال وتصفية، مثلما فعلت بباتريس لومومبا، أو في محاولاتها لاغتيال فيديل كاسترو عبر تسميم بدلته للغطس أو غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، لكن الحقيقة تكمن في كون ملف الوكالة أشد فداحة من هذا، لدرجة تصفية مواطنين أمريكيين أنفسهم، لصنع مبررات سياسية يتطلبها مشروع أمريكي، ومثال ذلك أنه على إثر فشل الهجوم على نظام فيدال كاسترو في خليج الخنازير في نيسان إبريل 1961م قامت الاستخبارات الأمريكية بتقديم خطة كشف بامفورد النقاب عنها، وهي المتمثلة بحملة إرهاب تستهدف المواطنين الأمريكيين مع إلصاق التهمة بكوبا ليكون ذلك تبريراً للاجتياح الشامل لها، وقد سمي ذلك بعملية (نورثوود) والتي كان من المفترض أن تكون في شكل عمليات خطف طائرات، وهجومات بالقنابل في ميامي وواشنطن، وحددت الوثائق التحضرية أنه من المفترض "أن يصور للعالم وكأن الحكومة الكوبية تمثل تهديداً خطيراً خفياً على السلام في النصف الغربي من الكرة الأرضية".

حينها لم توافق إدارة كينيدي على عملية (نورثوود) لكن

بعد سنتين وقع حادث مشابه ومختلف في خليج تونكين أدى إلى تفجيرات حرب فيتنام.

ثم أن حادثة سفينة ليبرتي الأمريكية ذاته يعد حادثة فساد بالنسبة للمخابرات الأمريكية، إذ في الثامن من حزيران/يونيو وبعد مراقبة دامت ست ساعات لسفينة ليبرتي (الأمريكية) وهي تقوم بدورية في عرض البحر المتوسط، قام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة السفينة بصواريخ من الجو وبواسطة الطوربيدات ، فقتل من أفرادها (34) عنصراً وجرح (171) وما إن نزلت قوارب الإنقاذ بعد تدمير السفينة حتى انهال عليها القصف وأغرقت.

وقد فعلت إسرائيل ذلك لمنع السفينة من جمع معلومات أو الاطلاع على مجريات عملية الإعدام الوحشية التي كان جيشها يقوم بها ضد مئات من المدنيين والأسرى المقيدين في مدينة العريش المصرية على بعد عشرين كيلو متراً من السفينة، وقد انتهى إلى علم وكالة الاستخبارات المركزية أن العملية مقصودة، ولكنها قامت بالتعتيم على ذلك لدرجة الإيعاز إلى الناجين من طاقم السفينة بإبقاء الأمر سراً، وإلا سجنوا.

و حينما توقفت دواليب مطابع جامعة يال الأمريكية في شهر آذار/مارس 2003م، كان خبر كتاب "إصلاح الاستخبارات" "لوليام أودوم" قد انتشر بين المهتمين، خاصة أولئك المطالبين بإعادة ترتيب البيت الاستخباراتي الأمريكي، وأولئك الذين يعتبرون حدوث عمليات الحادي عشر من أيلول /سبتمبر 2001م دليلاً على فشل استخباراتي ذريع.

ومصطلح (الإصلاح) لا يعني هنا "التطوير" بقدر ما يعني القضاء على الفساد، ذلك لأن ملف وكالة الاستخبارات المركزية لم يعد يمكنه احتمال المزيد من الصفحات السوداء.

ولعل الإحاطة بكل مظاهر الفاسد في السي آي إيه يعد ادعاء باطلاً، كون السرية التي تكتنف هذا الجهاز تجعل من المستحيل الإطلاع على أكثر من زوايا قليلة أصابها الضوء من بين ملايين الزوايا المعتمة الأخرى التي لا مجال إلى الوصول إليها وإلى خباياها.

غير أن الجزء دليل على الكل.. ومن هذا القليل المنكشف من سجل الوكالة، قيامها عام 1973م بتدبير انقلاب في تشيلي ضد سلفادور أليندي، وقتله، وتنصيب عميل الوكالة، الجنرال أوغستو بينوشيه مكانه، وقد قتل خلال أحداث هذا الانقلاب ما يزيد على (2500) شخص.

عام 1986م تم الكشف عن تورط للسي آي إيه في صفقات سرية لبيع أسلحة لإيران، بترتيب من إدارة رونالد ريغان، وتحويل أموال تلك الصفقة إلى عصابة الكونترا المتمردة ضد حكومة الساندينيستا في نيكاراغوا.

ولم يكن هذا العمل مفتقراً إلى غطاء رسمي، فقد صرح ريغان عام 1985م قائلاً عن متمردي الكونترا: "إنهم إخوتنا، هؤلاء المقاتلون من أجل الحرية، إنهم المعادل الأخلاقي لأبنائنا المؤسسين، وللرجال والنساء الشجعان في المقاومة الفرنسية،

ونحن لا نستطيع التخلي عنهم، لأن هذا الصراع ليس صراعاً لليمين ضد اليسار، بل هو صراع للحق ضد الظلم".

وفي عام 1983 تولى مانويل أنطونيو نورييغا، وهو تاجر مخدرات وعميل لوكالة، منصب قائد الحرس الوطني في بنما، ورقى نفسه إلى رتبة جنرال، واستولى على الحكم، وكان ذلك كله تحت غض النظر من طرف الوكالة الأمريكية. غير أن أموراً حدثت بعد ذلك قطعت التيار بينه وين السي آي إيه، وكانت قصة الذئبة التي تأكل أبناءها، إذ تم اتهامه عام 1986م بالابتزاز وتهريب المخدرات وغسيل أموال قذرة، وحكمت عليه إحدى المحاكم الأمريكية عام 1992م بالسجن، أربعين سنة.

وفي عام 1994م تم اكتشاف عملية بيع أسرار للدولة إلى الاتحاد السوفييتي، قام بها ضابط من الضباط الكبار في الوكالة المركزية، وهو «ألدريتش إيمز»(Aldrich Ames) الذي حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

كما أنه سنة 1995م أسفرت التحقيقات عن كشف اللثام عن عملية اغتيال شخصين في غواتيمالا، وهما أمريكي صاحب فندق، وناشط يساري غواتيمالي، وقد تمت تصفيتهما بأمر من ضابط غواتيمالي عميل للسي آي إيه.

ومنذ مدة كان الكاتب البريطاني (ديفيد أسبورن) ينشر في صحيفة (الأندبندنت) البريطانية غسيل سي آي إيه، عبر تسليط الضوء على ملفها الأسود.

ولا يخفى أن الوكالة كثيراً ما تخلّف أوضاعاً مأساوية في

البلدان التي تستهدفها بعملياتها، ومن ذلك أن اغتيال الوكالة لباتريس لومومبا عام 1960م قد فتح الباب لإعصار الأحداث العاتية التي عصفت بالبلاد قرابة (32) سنة، وذلك عندما آلت مقاليد الحكم إلى الديكتاتور (جوزيف موبوتو)، أما انقلاب غواتيمالا عام 1954م، والذي هو من صنع الوكالة أيضاً، فقد خلف (35) سنة من الحرب الأهلية التي راح ضحيتها قرابة (150) ألف قتيل.

والحقيقة أن العمليات القذرة لوكالة الاستخبارات المركزية كانت طوال أكثر من خمسة عقود، إما فاشلة، وإما ناجحة بما تحمله من الخسة والإرهاب، لذلك فقد حمل الكثير من الكتاب، حتى في الولايات المتحدة الأمريكية على أنطونيو جي مينديز حين أصدر كتابه: "سيد الخدع.. حياتي السرية في وكالة المخابرات المركزية"[4]

(The master of Disguise.. My secret life in the CIA) .

وذلك لأن مينديز الفائز بوسام "النجم الشجاع" في السي آي إيه تقديراً لدوره في رسم خطة هروب ستة أمريكيين من طهران عام 1980م، والحائز على لقب أحد (النجوم الخمسين) في عالم الجاسوسية، والحاصل كذلك على جائزة (تريلبلازير). والذي سُمح له بكتابة قصة تاريخه في الوكالة، قد اعتمد أسلوب رسمْ السي آي إيه على أنها الأسطورة التي كللها النجاح والمهارة طوال

(4) الناشر (2000/11) .Perennial

عمرها الماضي.. لذلك جاء عمله يحمل الكثير من المبالغة واللاموضوعية.. لذلك ركز الذين انتقدوا كتابه على تاريخ الاخفاقات المريع في الوكالة، ومن ذلك فشل الوكالة في حل أزمة الرهائن الأمريكيين بالسفارة الأمريكية في طهران، وفشلها في منع هجمات الحادي عشر من أيلول /سبتمبر 2001، وكذا فشلها في الوصول إلى زعماء (تنظيم القاعدة) كما تحب أمريكا تسميته، وفشلها في عملية خليج الخنازير ضد كوبا.

كما فشلت السي آي إيه طوال تاريخها عن حماية (الرجل الأول) في البلاد في الولايات المختلفة للرؤساء، ومثلما كان الأمر قبل تأسيسها من اغتيال أو توريط للرئيس من طرف جهات ما لها مصلحة في ذلك، فقد استمر ذلك المسلسل، فقبل ظهور السي آي إيه، اغتيل أبراهام لنكولن، الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، وكان اغتياله عام 1865م، كما اغتيل جيمس غارفيلد، الرئيس العشرون، عام 1882م. ووليم ماكنلي، الرئيس الخامس والعشرون، عام 1901م، ونجا تيودور روزفلت، الرئيس السادس والعشرون عام 1912م من محاولة اغتيال جرح فيها..

ونجا فرانكلين روزفلت الرئيس الثاني والثلاثون عام 1933 من محاولة لاغتياله، قتل فيها عمدة شيكاغو آنذاك.

هذه الأحداث كانت قبل إنشاء الوكالة المركزية، فهل تغير شيء بعدها ؟

لقد تعرض هاري ترومان، الرئيس الثالث والثلاثون، والذي تم تأسيس الوكالة بأمر منه، لمحاولة اغتيال عام 1950م.

واغتيل جون كينيدي الرئيس الخامس والثلاثون عام 1963م.

وجرت محاولة لاغتيال رونالد ريغان الرئيس الأربعين عام 1981م، ونجا من الموت بأعجوبة بعد إصابته برصاصة في صدره.

ريتشارد نيكسون، الرئيس السابع والثلاثون، لم تستطع الوكالة التغطية على تورّطه مع بعض معاونيه، ومنهم: جون ميتشل (john mitchell) ، النائب العام، وجون إيرلشمان (John Ehrlichman) مساعد الرئيس للشؤون الخارجية، وجون دين (John Dean) ، مستشار البيت الأبيض، وهـ .ر. هالدومان (H.R. Haldeman) كبير موظفي البيت الأبيض، في فضيحة ووترغيت (Watergate) ، وهي الفضيحة المتمثلة في سرقة أشرطة مسموعة من مكتب ووترغيت، مقر الحملة الانتخابية للحزب الديمقراطي (المعارض)، عام 1972م، وكذا التجسس على مكالمات الحزب، وقد انتهت تلك الفضيحة باستقالة نيكسون، من منصبه في 9آب/أغسطس عام 1974م.

كما لم تستطع الوكالة احتواء الفضيحة التي أثارتها مونيكا لوينسكي إحدى موظفات البيت الأبيض، عام 1998م، ضد الرئيس الثاني والأربعين بيل كلينتون متهمة إياه بالتحرش الجنسي ضدها، مع إنكار الرئيس لذلك وكذبه تحت القسم خلال المحاكمة المدنية، ثم اعترافه بعد ظهور أدلة الاتهام ووضوحها.

وقد ذهب بعض المتابعين إلى أن العملية كلها من صُنع الوكالة نفسها، وفي كلتا الحالتين، تكون السي آي إيه أمام احتمالين أحلاهما مر.

وفي كتاب (الشفافية المفقودة.. وكالة الاستخبارات الأمريكية والمخدرات والصحافة)، يفتح المؤلفان، "ألكسندر كوكبيرن"، و"جيفري سانت كلير" الصفحات الداكنة في سجل السي آي إيه، وألكسندر كوكبيرن، صحفي بجريدة ""The Nation، كما يقوم بتحرير مجلة "كونتربانش"، وله عدة مؤلفات، منه: "نساء الإمبراطورية". و"كونتربانش.. الصحافة تعيد اكتشاف أمريكا". و"خمسة أيام هزت العالم. معركة سياتل "وما بعدها". و"دليل استخدام آل غور".

وفي كتابه المشترك، المذكور "الشفافية المفقودة"، يعرض "كوكبيرن" للعلاقة بين السي آي إيه وعصابات الكونترا في نيكاراغوا، وكذا علاقة الوكالة بسوق المخدرات في لوس أنجلس.

ومثل هذه العلاقات و التحالفات السوداء، والتي كشف بعضها الصحفي (جاري ويب) عام 1996م في كتابه "التحالف الأسود"، ليست حوادث قليلة عابرة يمكن التغاضي عنها، بل هي من السمات البارزة والممارسات المعهودة للوكالة.

وقد حاولت المخابرات الأمريكية تحطيم (جاري ويب) مراراً، كونه كشف اللثام عن علاقتها بتجار الكوكايين وإدخالها إلى كاليفورنيا في أوائل الثمانينيات.

وقد بدأت المشكلة بين (جاري ويب) والمخابرات المركزية

صبيحة يوم الأحد 18أغسطس 1996م، حينها ذهل سكان مقاطعة سانتا كلارا، لما وردَ في صحيفتهم (سان جوس ميركيري نيوز)، والتي كان جاري ويب يعمل مراسلاً لها.

وتحلق بعضهم حول ما كُتبَ، وسرى الخبر في تلك الصبيحة، وسجل العدد مبيعات هائلة.

"التحالف الأسود"، هكذا كان عنوان المقال الذي تصدر الصفحة الأولى كاسراً (تابوهاً) كبيراً، وإلى الأسفل كان هناك عنوان فرعي "القصة الكاملة وراء تفشي المخدرات". وإلى الأسفل من ذلك كله، صورة رجل أسود يدخن المخدرات، مع ظهور شعار بارز في الصورة يحمل الكلمات الثلاث (سونترال أنتيليجونس آجونسي)، في شكل نصف دائرة تعلو رأس صقر ملتفت، وكان ذلك هو شعار السي آي أي .

كانت جرأة الكاتب أكبر بقليل أو كثير من أن يصدقها القراء، وفي أعداد أيام 18، و 19و 20أغسطس 1996م، كان (ويب) يسرد القصة الكاملة للتحالف الأسود بين السي آي إيه وكارتل المخدرات المتنفذ حتى في الأسواق الأمريكية..

ووجدت الصحافة الأمريكية طوال أسبوعين بعد ذلك ما تملأ به صفحاتها من الأخذ والرد والنقاش الساخن حول هذه القضية.

انقلب المجتمع الأمريكي رأساً على عقب، بفعل الفضيحة التي حركها ويب، وادعت السي آي إيه ، أنه هو صانعها، وليس محركها فقط، ولجأت الوكالة إلى الإنكار، ثم شنت حملة مسعورة على الصحفي.

وفي منتصف شهر نوفمبر 1996م، تجمّع قرابة (1500) مواطن، في دائرة ووترز في جنوب لوس أنجلس، لينالوا من مدير السي آي إيه آنذاك (جون دويتش) طوال ليلة بأكملها..

وسقطت الأسطورة

منذ عقود و نحن نسمع و نقرأ الكثير من الجعجعة عن " الغرفة الأمريكية السوداء" التى كادت تتحول الى أسطورة ، والمتمثلة فى الشبكة المعقدة الناتجة عن تداخل وكالات و مكاتب الاستخبارات ,من وكالة المخابرات المركزية (سي. آي. إيه) ووكالة مخابرات الدفاع (دي آي إيه) ووكالة الأمن القومي (أن .إس .إيه) و مكتب التحقيقات الفدرالي (إف . بي. آي) ، والتى كانت كلها قنوات لإمداد واشنطن (المركز) بالتقارير و المعلومات الخام ,التى يقوم مسؤولون من الخارجية والدفاع و الـ (سي.آي. إيه) بتحليلها ثم إرسالها الى المطبخ السياسي .

و كثيراً ما تباهى الأمريكيون بهذه الأجهزة الدقيقة المعقدة ، و التي كانت في الحقيقة مجرّد " بالون هواء " ,ظهرت هشاشته فى أوّل ضربة توجّه إليه .

الساعة التى تعرضت فيها نيويورك وواشنطن لضربات مدمية يوم الحادى عشر من أيلول (سبتمبر 2001م ظلت هذه الأجهزة لاتعرف شيئاً تماماً مثل أي مواطن أمريكي بسيط...لذلك كان الذى يسقط فى الضربات ,وقبل الأبراج ذاتها ,هو الهيبة , سقط تاج الهيبة عن رأس الإمبراطورالمغرور و سقطت معه الأسطورة المكذوبة القائلة أن ّإمريكا لاتُغلب ,لتحلّ محلّها قاعدة

لمسها الناس ورأوها ,و هي أن أمريكا لم تكن تغلب لأنها لم تُضرب ، فإ ذا ضُربت غُلبت .. و كانت أكبر نقمة لواشنطن على بن لادن ليس لكونه عدواً لها ,بل لكونه كشف مستورها ,فظهر وجهها الضعيف ,وهيكلها الضخم الذى صار يترنح بمجرد ضربة واحدة فقد فيها كل توازنه .

و تدرك أمريكا أنّ الذين استهدفوها في 11أيلول / سبتمبر (2001م) آلموها أكثر من ناحية كونهم جرّؤوا عليها الذين كانوا يخافون بطشها ,ويطردون عن جماجمهم كل أفكار الانتقام منها .

والآن لا الرئيس الأمريكي و لا وزيره للدفاع ، و لا ترسانة الأسلحة ، و لا العنجهية المصطنعة يمكن أن تقنع أيّ شخص في العالم بأنّ الولايات المتحدة قوية ، و قادرة على صد أيّ عمل يستهدفها ...

هل انكسرت رجْل كرسي الامبراطورية ؟!!

مشكلة الولايات المتّحدة تكمن في كونها تظن الكثير من الأشياء لها وحدها ، وحتى تلك المعنوية مثل "السرية " التى هي عصب الحياة فى أجهزة استخباراتها ، غير أن السرية كما أنها سلاح أمريكي فإنها يمكن أن تكون أيضا سلاحاً لا إمريكياً..

ومنفذو العمليات كانوا يعيشون فى قلب أمريكا ، يخطّطون ، يتدرّبون، يجتمعون يتّصلون ، و ينفّذون ..

و طوال شهور، أو سنوات ، كان التحضير ... لكن أجهزة

المخابرات لم تُحس شيئاً... و حدث الذي حدث ، و فوجىء الرئيس الأمريكي كما فوجئت أجهزته المعقدة بالهجوم ... وشُلّت حركة أمريكا العظمى لعشرات الدقائق ، كان المهيمن الوحيد فيها هو أعداء أمريكا ...

لذلك تدرك واشنطن أن أي يوم من أيامها الهادئة سواء الحاضرة أو القادمة قد يكون مثل يوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر (2001م) إذ لم يعد الهدوء يعني الأمن والاستقرار...

وكيف يمكن لبلد أنْ يعيش آمناً وهو يعلم أنه المستهدف الأول بأية ضربة انتقام و تحدّ ..

وفى خطابه الذى ألقاه فى 11 أبريل / نيسان (2002م) قال رئيس دائرة العمليات في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي . آي. إيه) جيمس بافيت :

" رغم أفضل الجهود المبذولة لمكافحة الإرهاب فإن المسألة لا تتعلق بمعرفة ما إذا كان سيحصل اعتداء إرهابى ، وإنما متى ". وأوضح بافيت أنّ (سي . آي. إيه) كانت تعلم أن تنظيم القاعدة خطّط لتوجيه ضربة قوية جداً ، لكنه كان من المستحيل جمع مزيد من المعلومات حول ذلك بسبب العناية التى يعتمدها هذا التنظيم فى تجنيد أعضائه و السرية المحيطة بعملياته ، ورأى أنه كان من شبه المستحيل تفادي وقوع اعتداءات سبتمبر "بسبب هذه الدرجة من التحكم وهذا النوع من تقسيم العمل ودرجة الانضباط و التعصب العالية .." .

هذه السرية التى اكتنفت العملية جعلت من الصعب على أمريكا الوصول إلى حقيقة ما يُعدّ ضدها من مخططات ، وهي رغم كل الانتهاكات التى قامت بها بعد الضربة ، سواء ضد العرب و المسلمين المتواجدين على أراضيها ،أو حتى أولئك الذين خارج حدودها ,باستحلال ما كانت تمنعه من الحبس و التعذيب والتنازل عن الكثير من شعاراتها البراقة التى كانت ترفعها عالياً، وتُزايد بها طوال عقود مضت ، لم تستطع الوصول إلى ما يمكن أن يجنبها ضربة قادمة ، وكل ما جمعته يتعلق بالماضي لا بالمستقبل ...بالضربة الماضية لا بتلك القادمة .

فهل كان للتسعة عشر الذين نفذوا العمليات يوم الحادي عشر أيلول (2001م)علاقة بغيرهم ؟ وهل يمكن أن لا يكون لهؤلاء علاقة بالغير ؟..

جيمس بافيت اعتبر أنّ الرغبة فى إقامة دفاع ناجز ضد الارهاب سيعني إلغاء العديد من الحريات المدنية التى تشكّل جوهر المجتمع الأمريكي وهو الأمر الذى سيوجِد نظاماً لايستحق الدفاع عنه على حد رأيه .

ويعلم بافيت كما يعلم غيره أن الولايات المتحدة الأمريكية حتى إذا قررتْ تطبيق هذه الفكرة التى لا تقوم إلا بالتجاوزات القانونية و الانتهاك الفادح ، فإنها لن تستطيع الوصول إلى شيء ، ذلك لأن أعداءها ليسوا من السذاجة التى تجعلهم لايقرأون لهذا الاحتمال السيء حساباً ، ثم من قال أن إمريكا لم تحاول ولم تنتهك فى سبيل محاولتها تلك الكثير من الحقوق ؟ !!

وقد دل تقرير لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن (88)٪ من مسلمي ولاية فيلادلفيا قد شكا من التعرض للاضطهاد بعد أحداث 11أيلول / سبتمبر 2001 م ، واشتكى من الحيف ذاته 37٪ من مسلمي نيويورك ، و31٪ من مسلمي فلوريدا وتكساس وديترويت ، و34٪من مسلمي كارولينا ، و20٪ من مسلمي أوهاوي ، و19٪ من مسلمي ميامي .

أما عن تجاوز المدد القانونية المحددة للحبس والطرق القانونية للتحقيق فأمر طفحت به الصحف الأمريكية ذاتها,وثارت ضده إنتقاداً ومهاجمة الكثير من الجمعيات والهيئات والشخصيات الأمريكية .

إن السرية التى يتمتع بها المتربصون بأمريكا و المخططون لضربها تأخذ صفتها العالية مما تشيعه أمريكا ذاتها عن أجهزة استخباراتها ، إذ ليس معقولا أن يقرأ الواحد من المنتقمين من أمريكا عن أجهزتها المعقدة والمتطورة والدقيقة فى مجال الاستخبار ,ثم بعد ذلك يقول لأمه فى الهاتف ,أو يكتب لصديقه أنه ذاهب في السّاعة كذا لتدمير برج التجارة أو البنتاغون !!!

ولو ذهبنا نتأمل العمليات التى خرجت إلى حيز التنفيذ مستهدفة الولايات المتحدة الأمريكية ,لما وجدنا منها واحدة قد فشلت أمام دفاع إمريكي أحبطها بجدارة ، سواء العمليات التى نسبت الى أسامة بن لادن ,وهى عمليتا السفارتين فى نيروبي ودار السلام أو عملية المدمرة كول فى اليمن ,أوعملية الحادي عشر من أيلول / سبتمبر(2001م) .

وليست هذه فقط ,فهناك سلسلة غيرها قام بها غير بن لادن .

- ففى 24 كانون الثاني / يناير(1975م) قُتل أربعة أشخاص فى انفجار في حانة في نيويورك ، و جاء هذا الانفجار فى إطار سلسلة من 39 عملية تفجير وقعت بين1974م و1977 ونسبت إلى جيش بورتوريكو للتحريرالوطني .

في 29 كانون الأول / ديسمبر 1979 قُتل (11) شخصا ، و جُرح (75) في انفجار قنبلة في قسم الأمتعة الشمالي في مطار (لاغوارديا) في نيويورك .

في 16 أيار / مايو 1981 م قُتل شخص في انفجار في مراحيض محطات شركة (بان- آم) الأمريكية ، في مطار (جون كيندي) في نيويورك ، و أعلن جيش بورتوريكو للمقاومة مسؤوليته عن الانفجار.

- في26 شباط /فبراير 1993 قُتل (6)أشخاص و جُرح (1000)آخرون في انفجار قنبلة وُضعت في مرأب للسيارات في الطابق السفلي لمركز التجارة العالمي في نيويورك وأدين أربعة مسلمين من بينهم الشيخ عمر عبد الرحمن الزعيم الروحي لتنظيم الجماعة الإسلامية المصري المحظور ، وقد أدين رمزي أحمد يوسف سنة 1998م باعتباره العقل المدبر للعملية، وحكم عليه بالسجن المؤبد.

في 19 نيسان 1990 م قتل 168 شخصاً وجرح أكثر من 600 في انفجار سيارة أمام مبنى فيدرالي في أوكلاهوما سيتي. وفي عام 1997 أدين تيموثي ماكفي (33) عاماً، العضو في

مجموعة فوضوية مناهضة للحكومة الفدرالية بتهمة تنفيذ العملية التي هي أكبر ثاني عملية بالمقارنة بعملية 11 أيول سبتمبر 2001 م، وأعدم ماكفي في حزيران يونيو 2001 م.

في التاسع من تشرين الأول أكتوبر 1995م قتل شخص وجرح أكثر من ثمانين في انفجار قنبلة في قطار يقوم برحلة بين ميامي ولوس أنجلوس أدت إلى خروجه عن السكة، وأعلنت مجموعة كانت مجهولة، معروفة باسم "أبناء الغستابو" مسؤوليتها عن التفجير، وتعتقد الشرطة أن عملية التفجير لها صلة باقتحام الشرطة لمزرعة في واكو (تكساس) في 1993م قتل فيه ثمانون عضواً من جماعة الدافيديين.

في 27 تموز يوليو 1996 قتل شخصان وجرح (110) آخرون في انفجار قنبلة في الحديقة الأولومبية في أتلانتا (جورجيا) خلال دورة الألعاب الأولومبية.

وفي أيار مايو 1998م حكم على تيودور كازينسكي الملقب بـ (يونا بومبر) بالسجن المؤيد بعد إدانته بسلسلة عمليات تفجير طرود امتدت على (18) عاماً وأدت إلى مقتل ثلاثة أشخاص وجرح 23 آخرين.

ويضاف إلى هذا الكثير من العمليات التي استهدفت مصالح أو طائرات إمريكية في الخارج ومنها قضية "بان آم" التي أخذت اسم القرية التي وقعت فوقها "لوكربي" واتهم فيها ليبيون، وفي عام 1985م فقط كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها هدفاً لـ 40٪ من عمليات العنف السياسية التي وقعت في العالم.

سلسلة عمليات استهداف الولايات المتحدة الأمريكية طويلة، وحلقاتها كثيرة، لكن الذي يحدث الآن هو أن اليد التي تضرب لا يساندها فقط شعار سياسي أو أيديولوجي يعادي سياسة واشنطن كما كان الأمر دائماً، بل أصبح يساندها أيضاً غلاف مالي كبير وهو ما يعطي العمليات حجماً كالذي رايناه في الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001م.

المخابرات الأمريكية وجدت نفسها أمام واجب رفع مصطلحاً كبيراً قديماً ومعروفاً وهو "إرهاب الإرهاب" أو "نقل الخوف إلى خندق العدو" غير أن مشكلتها الأساسية تبقى في كونها لا تعرف الوجه الحقيقي لما تسميه "الإرهاب الإسلامي الأممي" لذلك فهي لا تراه سوى في شكل بن لادن وهذه إحدى نقاط الضعف عند الأمريكيين.

ورغم أنه من المنتظر تخصيص 14 مليار دولار للدفاع والاستخبارات، إلا أن الرئيس بوش يجد نفسه عاجزاً عن امتلاك تصور شامل لما يمكن أن يكون مخططاً لمجابهة، ومواجهة مستقبلية للعمليات التي تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ربما يفسر إحاطته نفسه بمجموعة من المستشارين الكبار في الأمن القومي من أمثال ريتشارد أرميتاج، ودوف زاخايم، وبول وولفيتز، كما وجه عناية خاصة لوكالة الأمن القومي لدعم مكانتها في شبكة الاستخبارات الأمريكية التي تضم نحو مائة ألف موظف، وعشرات الآلاف من المخبرين في العالم، ويقع مقر الوكالة في "فورت ميد" بولاية "ماريلاند" بين واشنطن وبالتيمور.

ولعل السؤال المحير الذي دار في الكثير من الجماجم، دون أن يكون له جواب هو: لماذا لم يدفع مدير (السي آي إيه) جورج تينيت ثمن الارتخاء الذي واجهت به أجهزة الدفاع والاستخبار أحداث 11أيلول سبتمبر 2001، إذ من المفترض على الأقل أن يتم عزله، إن لم يكن محاكمته.

هل حدث ذلك لكون الذين بيدهم قرار عزل "تينيت" أو إبقائه يعلمون أنهم الآن أمام عدو لا يمكن التصدي له، سواء كان تينيت هو الذي على رأس "سي آي إيه" أو كان غيره..؟!!

جورج تينيت وقف عشية أحداث 11أيلول سبتمبر 2001م ليقول في مطالعته أمام الكونغرس:

"كلما ازدادت قوتنا، زاد الخطر علينا، نحن أقوى دولة في العالم، لكننا معرضون للخطر من قبل الذين يختلفون معنا في المصالح، والعقائد، والقيم الأخلاقية".

هذا الاعتراف لتينيت يدل على أن سياسيي الولايات المتحدة يدركون جيداً أن ضربات الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001م لن تكون الأخيرة، ومادامت إمريكا قائمة سيبقى استهدافها قائماً.

وفي كتابه "انهيار سي آي إيه.. مذكرات محارب في الظل على جبهات الأصولية الإسلامية" يؤكد رؤبرت بايير العميل السابق في الوكالة أن "الجهاد" ضد أمريكا قد بدأ، وأن وكالة الاستخبارات الأمريكية قد أصابها الترهل فأضحت عاجزة عن المواجهة بفعل ما ينخرها من الكسل والروتين والبيروقراطية، يقول:

" في الشـرق الأوسط لا تقـدم المكتبـات عـلى توزيع وترويج الكتب الإسلاميـة المتطرفـة، لكن الأمر في لندن يختلف، ومن يقرأ العنـاوين العـربيـة يسـتنتج مـدى الحـقـد على الـولايات المتـحـدة الأمريكية في الأوساط الإسـلامية المتشددة. ويجد فعلاً أن الجهاد قـد بـدأ ضـدها، ويجب أن يسـتـمـر، وأعلم من خلال تجـاربي في الشرق الأوسط أن ذلك سيجر ويلات كثيرة على العالم".

عمليات للإرباك وزرع الفوضى

كثيرة هي الحوادث التي تنتهي وتدفن في سجلات التاريخ دون أن يظهر فيها بصيص حقيقة...

ولوكالة الاستخبارات المركزية في مجال صناعة الأحداث المبهمة باع طويل ويد طولى ,وهي تلجأ إلى ذلك عادة لعدة أسباب ,ومن ذلك زرع الفوضى أو توريط جهة ما ,أو توجيه الأنظار أو صرفها إلى أو عن هذه الجهة أو تلك..

أسباب شتى، لكنها تلتقي في الأخير في كون أحداثها تولد وتنتهي والناس يقلّبون أيديهم تخميناً وتساؤلاً دون أن يصلوا إلى شيء أو يحسوا بحقيقة.

ولاشك أن الكثير من الحوادث التي تظهر في مرحلة ما تسوق الأمور نحو الوجهة التي تريدها واشنطن ,هي حوادث ليست فوق الشبهة ,فحين يقع تفجير في دولة تريد الولايات المتحدة الأميركية جرها إلى صفها في حرب الإرهاب ,فإن الأصابع يجب أن تشير أول ما تشير إلى مجموعة المستفيدين من العملية ,دون استبعاد واحد منهم قبل ظهور الأدلة الواضحة.

أقول هذا مستنداً إلى حزمة من المعطيات والحوادث التاريخية, ومن ذلك ,قضية محاولة اغتيال (بابا الفاتيكان) يوحنا بولس الثاني بتاريخ 1981/11/13م.

وقد اتهم منفذ العملية آنذاك وهو يحمل الجنسية التركية, واسمه(محمد علي عقّا) ,بأنه ينتمي إلى جماعة إسلامية متطرفة.

ويبدو من الوهلة الأولى أن الفاعل لا بد ألاّ يكون مسيحياً، ولا غربياً، ومن ثم فلا يمكن أن يقوم بمحاولة اغتيال لرمز ديني مسيحي سوى مسلم متشدّد.

ولاشك أن الواقفين وراء العملية قد انطلقوا في فكرتهم من كونهم مستبعدين جداً من التهمة.

وفي آخر المطاف تبيّن أن (محمد علي عقّا) ,هو تلميذ أحد كبار أباطرة المخدّرات الأتراك، وهو (عبد الله شاتلي)، وشاتلي هذا صاحب ميول يمينية متطرفة، وفي سجله الإجرامي عمليات اغتيال عدة في تركيا.

كان أول اتصال لشاتلي بالمخابرات التركية عام 1978م، وهو العام ذاته الذي أصبح فيه ثاني رجل في تنظيم (الذئاب الرمادية) الفاشي، وبضوء أخضر من المخابرات التركية قام شاتلي باغتيال سبعة نقابيين من الحزب العمّالي التركي بأنقرة، وفي 1 فبراير 1979م ,قام شاتلي بوضع خطة لاغتيال رئيس تحرير يومية (ميلييت)التركية.

بينما كان محمد علي عقّا المنفذ المباشر للاغتيال، وبعد سجن عقّا في سجن اسطنبول العسكري قام شاتلي بوضع خطة لتهريبه.

كانت تلك بداية رحلة الرجلين خارج تركيا، حيث استقر بهما المقام في بلغاريا، نظراً للعلاقة التي كانت تجمع المافيا التركية بالمخابرات البلغارية.

في بداية الثمانينيات ، تم أول اتصال مباشر بين شاتلي و مجموعته ، و بين المخابرات المركزية الأمريكية . CIAولحاجة في

نفس الوكالة ، أمر شاتلي أحد أعضاء تنظيم الذئاب الرمادية ، ويدعى محمد سينير، أمره بأن يسلم رفيقه في التنظيم محمد علي عقا ، المسدس الذي سيستعمله هذا الأخير في محاولة اغتيال يوحنا بولس الثاني .

تمت المحاولة في 13ماي 1981 ، و بعد الأخذ و الرد ، أجمع المحققون الأمريكيون على تورّط المخابرات البلغارية في العملية، وشاع ما اصطلح على تسميته بـ (السلسلة البلغارية) وموازاة مع التحقيق الذي كان يقوم به العملاء الأمريكيون ، كان هناك تحقيق ثان ، ينجزه الصحفي التركي الشهير أُغُورْ مُومْسُو. غير أن هذا التحقيق أخذ منحى آخر ؛ إذ ركز فيه صاحبه على علاقة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتنظيم الذئاب الرمادية، و مدى تورط الوكالة في العملية . هذا المنحى سبب لصاحبه اصطداما مع المحققين الأمريكيين ، و على رأسهم رئيس محطة الشرق الأوسط - فرع الوكالة - بالسفارة الأمريكية بأنقرة بول هنزي .

و قد هدف من خططوا لأطروحة السلسلة البلغارية ، إلى رمي عصفورين بحجر واحد : توريط المخابرات البلغارية و الروسية في المحاولة ، للتأكيد على أن الاتحاد السوفياتي هو منبع كل شر ، وتحويل الأنظار عن العلاقة الحميمة القائمة منذ زمن بين المخابرات الأمريكية ، و التنظيمات التركية اليمينية المتطرفة ، وعلى الخصوص الذئاب الرمادية . لقد استغلت الوكالة تنظيم الذئاب الرمادية ، لإذكاء نار العداء للشيوعية وسط الأقليات التركية المسلمة المنتشرة في ربوع الاتحاد السوفياتي . و لا أدلّ

على نجاح هذه الخطة ، من فوز عبد الحفيظ الشيبي ، المتعاطف مع الذئاب الرمادية ، في الانتخابات الرئاسية بأذريبجان سنة 1992، و تعيينه إسكندر غاميدوف في منصب وزير الداخلية .
و غاميدوف هذا ، يميني متطرف ، لايجد حرجاً في الجهر بانتمائه لتنظيم الذئاب الرمادية ، و بحلمه بتركيا الكبرى التي تشمل شمال إيران ، و تمتد إلى سيبيريا و الهند و الصين . هذا الحلم الذي عملت المخابرات الأمريكية على ترسيخه في عقلية أفراد هذه التنظيمات المتطرفة ، حتى يخلصوا في مواجهة كل ما له علاقة بالاتحاد السوفياتي ، و الشيوعية.
في 25 سبتنبر 1991 ، صرح ميلْفين غودمان ، المحلل السابق بوكالة المخابرات المركزية ، صرح أمام لجنة الاستعلامات بمجلس الشيوخ الأمريكي ، أن الوكالة لم تكن تتوفر على أدنى دليل يورط المخابرات البلغارية و السوفياتية في المحاولة . كما كشف عن قيام زملائه في الوكالة ، بتزوير الحقائق والمعلومات ، تنفيذاً لتعليمات رؤسائهم ، و ذلك لإضفاء المصداقية اللازمة على أطروحة السلسلة البلغارية . و قبله أكد عبد الله شاتلي أمام القضاء الإيطالي ، سنة 1985، أن مخابرات ألمانيا الغربيةBND، وعدته بمبالغ مالية هامة ، إن هو قام بتوريط المخابرات البلغارية و الروسية في محاولة اغتيال الحبر الأعظم.
ألقي القبض على شاتلي و محمد سينير بسويسرا ، سنة 1982 قامت السلطات السويسرية بترحيلهما إلى إيطاليا ، حيث تمت محاكمتهما . و بسبب انعدام الأدلة الكافية ، أطلق

سراح شاتلي . وابتداء من العام 1984، كرس شاتلي وقته لتهريب الهيروين بحماس و اندفاع كبيرين ، إذ أنه كان يعمل تحت مظلة محافظ مدينة إيرزْوم . و في العام 1986، ألقي القبض على شاتلي بفرنسا ، و تم ترحيله إلى سويسرا ، سنة 1988 و هناك حكم عليه بـ 7سنوات سجناً بتهمة تهريب المخدرات . و في 21 مارس 1990 ، فرّ شاتلي من زنزانته بطريقة عجيبة . و يشير مصدر عسكري عليم ، إلى أن عملية الفرار هذه ؛ كان يقف وراءها رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية بتركيا .

توفي شاتلي بتركيا ، في حادثة سير ، وقعت على بعد 150 كلم جنوب غرب إستنبول ، يوم 3نوفمبر 1996 و قد كشفت هذه الحادثة عن شخصية شاتلي الحقيقية ، بعد أن كان قد عاش مدة زمنية، منتحلاً شخصية مواطن تركي ، يعيش في المهجر . كما كشفت الحادثة أيضا عن التنظيم الإرهابي الخاص الذي كانت تشرف عليه تانسو شيلير ، عندما كانت رئيسة للحكومة التركية ، وعن علاقة هذا التنظيم بقوات الأمن التركية ، و المافيا و اليمين المتطرف التركيين .[5] وحين يتم التدبير لعملية اغتيال خيوطها متشابكة ومتماهية مع الخلفية السوداء للمشهد بهذه الدرجة ,فإنه يصير من السهل في ظل ثقافة (استبعاد المؤامرة) إلصاق التهم بهذه الجهة أو تلك ,لتحقيق غاية ما ,أو الوصول إلى هدف مرسوم بدقة.

5- عن الأنترنت.

وفي عملية مثل محاول اغتيال (يوحنا بولس الثاني) يبدو توجيه التهمة إلى الـ(سي.آي.إيه) أمرٌ لا يصدق ,كون العملية مصنوعة بدقة تجعل اتهام الوكالة المركزية بها أمرٌ يثير الضحك.

وغير أن جهات غربية هي التي ذهبت إلى تأكيد التهمة على وكالة الاستخبارات المركزية ,ومن ذلك ما ذكره الصحفي الأميركي الشهير (كارل برنشتاين) ,شريك (بوب وود ورد) في تفجير فضيحة (واترغيت) ,إذ ذكر أن وكالة المخابرات المركزية ,هي التي كانت تقف وراء محاولة اغتيال (يوحنا بولس الثاني) ,وأن الهدف من ذلك ,كان جر الكنيسة إلى الدخول بكل ثقلها في دائرة الصراع الذي قرّر(رونالد ريغان) حينها خوضه ضد بولونيا الشيوعية ,حليفة الاتحاد السوفييتي.

هذا وقد أسفرت التحقيقات عن وجه الحقيقة الأبلج , فماذا لو أن الحقيقة لم تظهر؟

ألم تكن التهمة قد ثبتت ضد المسلمين ,وكان لذلك ظلاله على واقعهم وعلاقتهم بغيرهم؟

ثم لنفترض أن محمد علي عقّا قد ادّعى كذباً أنه ينتمي إلى جماعة إسلامية ,وأنها هي التي جندته لقتل الرجل الأول في الفاتيكان ,هل كان يمكن لأي أحد أن يلقي قشة شك في اعتراف عقّا ذاك؟.

إن بناء تحقيقٍ موازٍ لما تقوم به جهات هي الخصم والقاضي في جلباب واحد ,يمكن أن يساهم في قطع الطريق على هذه

الجهات لتوجيه مجرى تحقيقها ,ونتائجه إلى هدف معين قامت لأجل تحقيقه بعملياتها تلك.

لكن أين تلك اللجنة أو الجهة الموازية!!؟

وهل يسمح لها بذلك؟...

تلك هي المشكلة التي تريد وكالة الاستخبارات المركزية إبقاءها مشكلة ,لكي لا تقع هي في مشكلة.

الغرفة السوداء هو الاسم الذي يطلق على قـاعة هيئة الأسـرار لوكالة الأمن القـومي، وهي القـاعة التي يسـميها البـعض "إمبراطورية الظلام" ويقول آخرون أنها "مدينة الرموز السـرية "Cryptocity".

وهي قاعة تحتوي على ترسانة من الحواسيب فائقة القوة، وعلى أجهزة معقدة ورهيبة، ومجموعة كبيرة من المختصين الأفذاذ في الرياضيات، وخبراء اللغات في العالم. ويقاس الوقت ضمن إطار الغرفة السوداء "بالفيمتو ثانية"، وهي جزء من مليون بـليون من الثانية، وهناك جهود مكثفة لتطوير حواسيب قادرة على أداء أكثر من (سبـــتليون)، عملية كل ثانية، والسبـــتليون هو (1.000000000000000000000000).

وهذه التقنية الاستخبار اتية لم تحصل هكذا دفعة واحدة، بل كانت عبر تراكمية استفادت كثيراً من الممارسة الميدانية، وللإنسان أن يقارن بـين هذه الصورة المذهلة لغابـة الأسـرار في الولايات المتحـدة الأمريكية، وبـين النواة التي وضعت كذلك في يونيو /حزيران عام 1930م، في قبو مساحـته 25قـدماً مربـعاً، في المتجه جنوباً، من طريق بالتيمور ـ واشنطن العريض المزدن بالأشجار، قرب قرية "أنا بوليس جنكشن". في ولاية ميريلاند.

وقد أحيط المقر بكتل إسمنتية، وأسلاك شائكة، وكاميرات وأجهزة هيدروليكية مضادة للشاحنات.

وفي زمن الحرب الاستخبار اتية يكون واجبا التعرف على هذه الغرفة ...



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكت

هاتف: 3403612 - 3403611 (0218 21)

www.greenbookstudies.com

Info@greenbookstudies.net